منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2088) السنة الثامنة - السبت (2) نيسان 2011

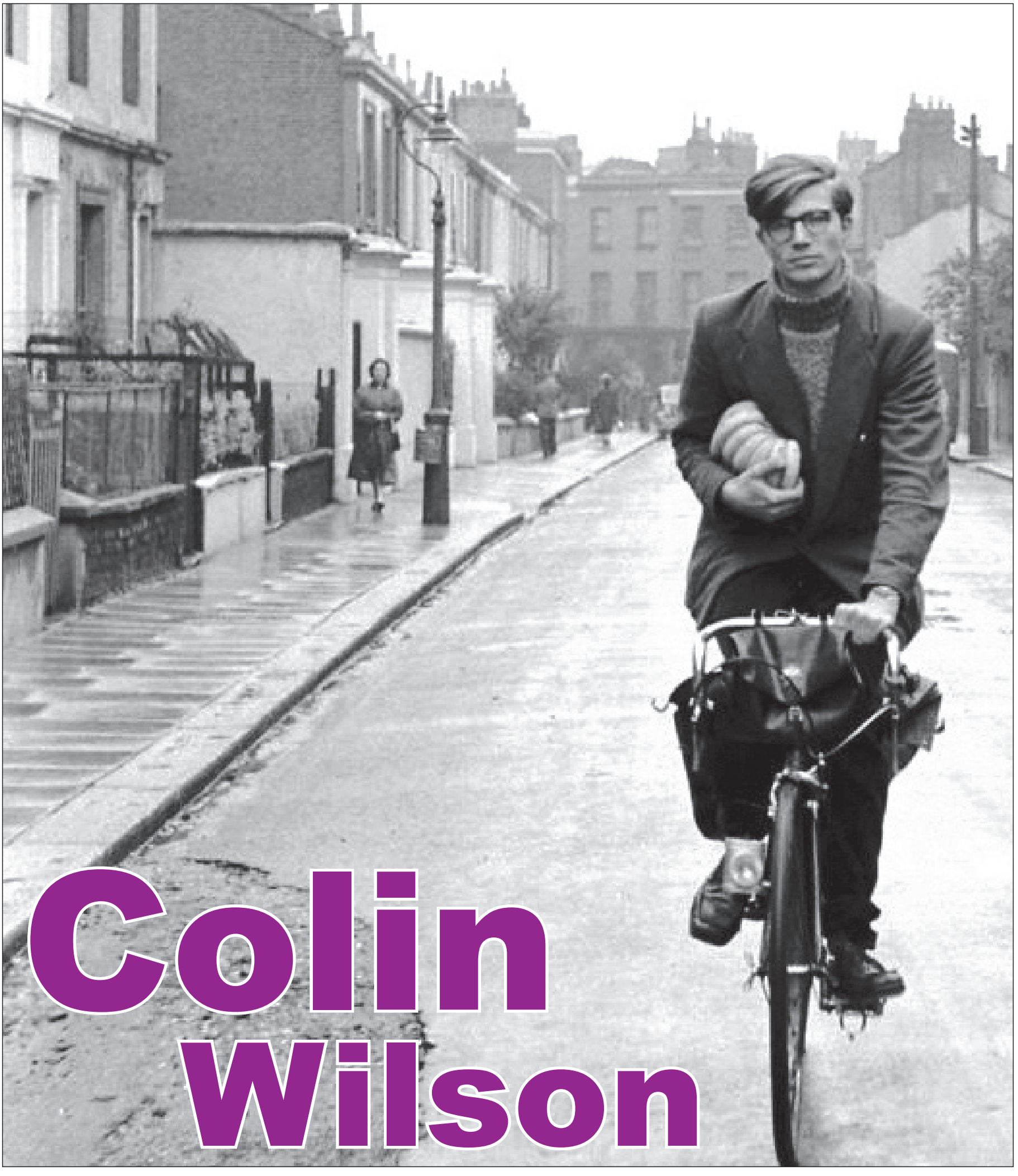

Colin Wilson

كولن ولسن
الجدل والدجل

اعداد: زينة الربيعي

كولن هنري ولسون (٢٦ يونيو/ حزيران ١٩٣١) كاتب إنكليزي ولد في ليسستر في انكلترا لعائلة فقيرة من الطبقة العاملة. تأخر في دخول المدرسة، وتركها مبكرا في سن السادسة عشر ليساعد والده، عمل في وظائف مختلفة ساعده بعضها على القراءة في وقت الفراغ، بسبب من قراءاته المتنوعة والكثيرة، نشر مؤلفه الأول (اللامنتمي)١٩٥٦ وهو في سن الخامسة والعشرين. وتناول فيه عزلة المبدعين(من شعراء وفلاسفة) عن مجتمعهم وعن اقرانهم وتساؤلاتهم الدائمة، وعزا ذلك إلى الرغبة العميقة في ايجاد دين موضوعي وواضح يمكن له ان ينتقل إلى الاخرين، من دون أن يقضوا حياتهم في البحث عنه.

كان الكتاب ناجحا جدا، وحقق اصداء نقدية قوية، وجعل من الشاب الفقير كولن نجما في دوائر لندن الثقافية، وصارت أخباره الخاصة تتصدر اعمدة النميمة الصحفية، اثر ذلك على كولن كثيرا وصار يتخذ موقفا من الصحفيين والنقاد، الذين سرعان ما بادلوه الموقف نفسه، وهاجموا كتابه على أساس انه «مزيف » وملئ بالنفاق. رغم ذلك، لا يزال ينظر للكتاب على انه ساهم بشكل أساسي في نشر الفلسفة الوجودية على نطاق واسع في بريطانيا.

نظر إلى كولن ولسون، على انه ينتمي إلى مجموعة «الشباب الغاضبين»، - وهم مجموعة من الشباب المثقف المتمرد قدموا اعمال مسرحية عدة في الخمسينات- رغم أن قليلا جدا كان يربطه بهم من الناحية الفعلية.

كتابه الثاني (الدين والتمرد) ١٩٥٧ قوبل بهجوم شديد من النقاد الذين كرروا وصفه بالمزيف والكذاب لكن الرواج التجاري ظل ملازما لمعظم كتبه التي نالت هجوم النقاد أو لا مبالاتهم. واصل ولسن الإنتاج من دون اهتمام لهجوم النقاد، وقد تنوعت موضوعات كتبه بين الفلسفة، وعلم النفس الإجرامي، والرواية. في الفلسفة اكمل سلسلة اللامنتمي :عصر الهزيمة ١٩٥٩، قوة الحلم ١٩٦١، اصول الدافع الجنسي ١٩٦٣ ما بعد اللامنتمي ١٩٦٥ في الرواية كتب عدة مؤلفات روائية منها : طقوس في الظلام ١٩٦٠، ضياع في سوهو ١٩٦١، رجل بلا ظل ١٩٦٣، القفص الزجاجي ١٩٦٦، طفيليات العقل ١٩٦٧ يربو عدد مؤلفات كولن ولسن الآن على المائة كتاب.و قد الفت عنه مؤلفات نقدية عدة.

« اللامنتمي هو الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانيه من أساس واه، وهو الذي يشعر بان الاضطراب والفوضويه أكثر عمقاً وتجذراً من النظام الذي يؤمن به قومه.. انه لَيس مجنوناً ، هو فقط أكثر حساسية من الاشخاص المتفائلين صحيحي العقول.. مشكلته في الأساس هي مشكلة الحرية.. هو يريد أن يكون حراً ويرى أن صحيح العقل ليس حراً، ولا نقصد بالطبع الحرية السياسية، وانما الحرية بمعناها الروحي العميق.. ان جوهر الدين هو الحرية ولهذا : فغالبا ما نجد اللامنتمي يلجأ إلى مثل هذا الحل إذا قـُيّض لهُ أن يجد حلاً..! »

إنه لمن الغريب أن كولن ولسن قد حقق شهرة كبيرة في العالم العربي لأنه لا يكاد يكون معروفا في بلدان أوربية عدة ولم يعترف به ككاتب جاد أبدا. إتجه بعد كتاباته الأدبية إلى الكتابة عن التصوف والسحر وعالم ما بعد الموت. يصنف كولن ولسن في الغرب باعتباره كاتبا دجالا.

من أعماله

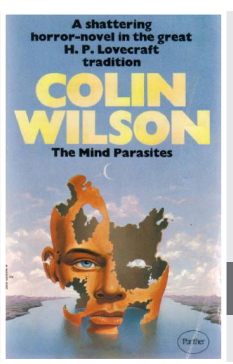

- أصول الدافع الجنسي.
- الإنسان وقواه الخفية
- الاستحواذ
- الجنس والشباب الذكي
- الحالم
- الشعر والصوفية
- اللامنتمي
- المعقول واللامعقول
- اله المتاهة
- رواية الشك
- سقوط الحضارة
- طقوس في الظلام
- عالم العناكب
- فكرة الزمان عبرالتاريخ
- ما بعد الحياة
- ما بعد اللامنتمي
- موسوعة الالغاز المستعصية
- الحاسة السادسة
- راسبوتين وسقوط القياصرة

حياة مفكر

ماجد الشيباني

عمل كولن ولسون في مغسلة للملابس، عمله يتضمن حمل الملابس المبللة ووضعها في ست أوان للتجفيف، وتفريغها بعد خمس عشرة دقيقة. أطنان من الملابس كل يوم. وقد كان ما يجنيه من هذه الوظيفة لا يكفي وليس أجرا مناسبا للعمل الذي يقوم به فترك الوظيفة. عين كاتبا لحجرة المخزن في ورشة، وعمله يتضمن مراجعة آلاف من قطع الغيار وأن يسلمها إلى عمال الإصلاح في الورشة، لم يكن قد نظر أبدا إلى ما تحت غطاء السيارة، وبعد أسبوعين فصل من عمله. بعدها عمل في شركة فيكتوريا، وفصلته الشركة هي الأخرى. تسلم خطابا من زوجته السابقة دوروثي تقول فيه إنها قررت أن تقيم عليه الدعوى طلبا للنفقة. حاول التفاهم معها على أن يرسل لها كل أسبوع مبلغا ماليا متفقا عليه.

عثر على عمل آخر في مصنع للبلاستيك، وطرد منه بسبب موقف تتجلى فيه سلطة البعض على اقل منهم وظيفيا فقد ذهب إلى العمل يوم سبت، وهذا اليوم يعتبر أجازة يحق له أن يرفض العمل في هذا اليوم، أو أن يكون عملا إضافيا، وبعد أن وقع على ساعة الحضور، خرج إلى محل قريب لشراء بعض الشوكولاتة. وحينما عاد، رآه الرئيس أثناء دخوله، وأمره بأن يوقع على الساعة مرة أخرى. لم يتقبل منه هذا الموقف، ففهم الرئيس الرسالة ومع نهاية الأسبوع طلب منه الانصراف والرحيل.

كان الإيجار وثمن الوقود والتأمين القومي وضريبة الدخل كانت تعني له أن يكسب ثلاثة أضعاف لكي يحصل فقط على الطعام، نفد صبره وكان يرى في نفسه أنه كاتب أفضل، وأن الوظائف السابقة التي لا هدف منها، فقرر بأن يكون كاتبا. أشترى خيمة رخيصة وحقيبة للنوم. وأعطى سكنه باري هيبويل الذي كان يبحث عن سكن في لندن، أخذ كتبه إلى منزل صديقه جوي، كان ينام في الخلاء تحت خيمته، نام على حافة ميدان للجولف بالقرب من المصنع. وكانت خيمته زائدة عن الحاجة، وتسبب له الكثير من المتاعب في إقامتها وإنزالها، وكانت تجتذب انتباه الآخرين. فأحتفظ فقط بحقيبة النوم المانعة من تسرب الماء. وما تحصله من مال لقاء عمله الأخير في المصنع قد يكفيه شهرا كاملا، إذا هو لم ينفقه إلا على الطعام، وقاوم إغراء شراء الكتب، لا يملك ما ينفقه على شراء الطعام ويبحث عن شراء كتاب، أي حياة يعيشها هذا الرجل. كانت الظروف المحيطة به صعبة، ومع ذلك قرر إعادة كتابه "طقوس في الظلام". ولكن بعدما زادت الضغوطات عليه، زوجة تبحث عن نفقة، شرطي يطرده من مكان عام صارخا في وجه "بأنه من غير المشروع في انكلترا أن ينام المرء من دون سقف فوق رأسه".

تحصل على عمل في مصنع للألبان خارج لندن، بمرتب جيد لكن من الساعة السابعة صباحا وحتى الساعة السابعة مساء، وكان ينام في حقل مجاور.، وما أن تحصل على مبلغ جيد يكفيه لتسديد ديون عليه، ترك المصنع. توفرت له وظيفة في مطعم، بوابا للمطبخ، الطعام كان جيدا، وزاد وزنه، خرج من هذه الوظيفة بحقيقة أن البشر يموتون داخل زنزانة سجن تصنعه ذواتهم، إلا إذا استطاعوا أن يجدوا الخلاص بتوجيه كل وجودهم إلى الخارج نحو شيء غير شخصي. عمل بعدها في مكتب للبريد. تفجر الإبداع عندما طرأت فكرة كتاب آخر، ومن ملاحظاته اليومية وما يهتم به من قراءته المتعددة برغم قسوة ما مر به، محاولا ربطها بالإعمال المختلفة من أدب "اللامنتمين"

عمل في مغسلة مرة أخرى، وكانت من اشق الإعمال جهدا.

تحول بعدها للعمل في مقهى يتميز بأن جميع العاملين في مثل سنه، البداية مع غسل الصحون وتحول بعدها الى تقديم الطلبات من وراء الحاجز. شعر معه بالاسترخاء والهدوء. ساعده على مواصلة كتابة اللامنتمي وبسرعة عظيمة. كتاب يتكلم عن العاجزون عن التكيف في الحضارة الحديثة، وكيف هو مع حواجزه الداخلية والخارجية معا ليسخرها إلى رحلة إبداع تمتد إلى أجيال وأجيال قادمة تنعم باستقرار مادي وصفاء ذهني .

وصل ولسون إلى كتابة ثلاثة فصول، وكان له صديق اسمه ستيورات يعمل في مجال الكتابة ليكسب معاشه، يقرأ كثيرا في الشعر والقليل من غيره، ومن خلال ولسون تعرف ستيورات على ديستوفسكي، سارتر، وبأعمال هيسه وريلكه، حتى تحولت كتاباته إلى دراسات فكرية ومن خلال ما يشرحه ولسون له ، وباعتراف ولسون في مذكراته بأنه شعر بنوع من الغيرة إذ قرأت الكثير من أفكاري وبأسم مختلف. وتحول بعدها ستيورات إلى محاولة نشرها بكتاب، ومن هنا انطلق ولسون إلى محاولة نشر كتابه اللامنتمي قبل ان ينشر ستيورات كتابه، فكان سباقا مع الزمن لاتمام ما تبقى من اللامنتمي، توفت جدته ومرضت أمه وعمل لها أكثر من عملية جراحية تدهورت معها حالتها الصحية، مما جعله مستعجلا على إنهاء هذا الكتاب ..

نشر كتابه وكانت نسبة المبيعات عالية في انكلترا، وتحولت إلى أميركا ليحقق هناك نسبة مبيعات أيضا عالية وتتحقق شهرته، القليل فقط يعلم انه متشرد لا يملك سوى خيمته حقق ما عجز عنه الكثير وما سيعجز عنه الكثير مستقبلا، سلاحه حياة فكرية مميزة، أعطته دافعا لكسر حاجز الوقت والمال ونظرة المجتمع له بعدما عزز رغبته لتحقيق هدفه .

هذه هي قصة رجل عاش حياته الفكرية وكل خطوة له يقابله حاجز، تحول من متشرد إلى كاتب يشار له بالبنان، لا يجد ما يأكله ومع ذلك يفكر أن يشتري كتابا، الفكر أصبح في مرحلة متقدمة في أولوياته وليأتي بعده المسكن والغذاء، كتب كتابه في خيمة متنقلة، فخرج بفكر سحر به العالم.

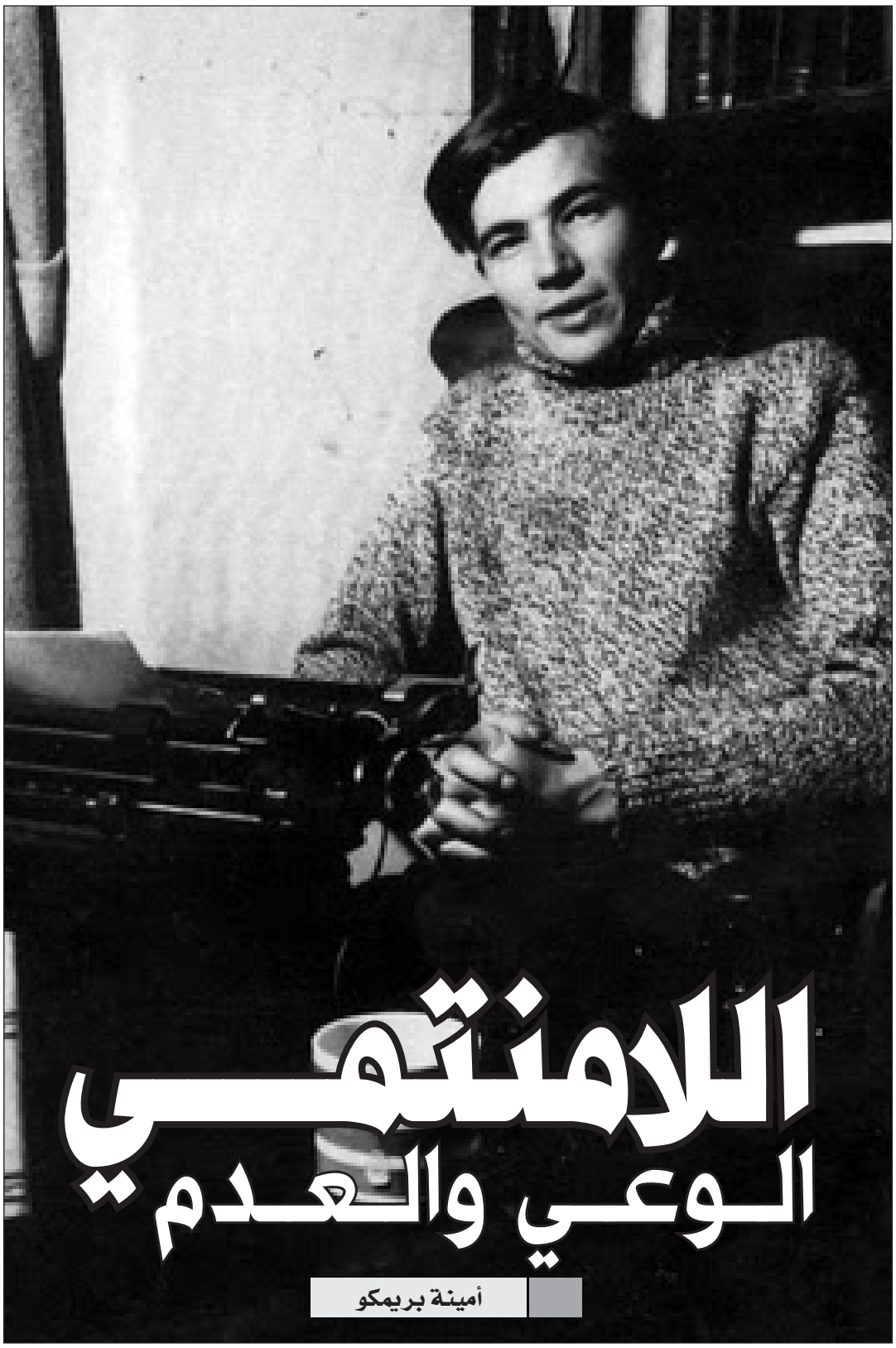

اللامنتمي الوعي والعدم

أمينة بريمكو

يعرف كولن ولسن في كتابه "اللامنتمي" بقوله: "إنه الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واه، والذي يشعر بان الاضطراب والفوضى هما أعمق تجزرا من النظام، الذي يؤمن به قومه".

فاللامنتمي برأيه ليس مجنوناً، بل هو فقط أكثر حساسية من أولئك الأشخاص المتفائلين صحيحي العقول. لأن اللامنتمي يريد أن يكون حراً، وهو يرى صحيح العقل ليس حراً، بل يعاني من مشكلة الحرية، بمعناه الروحي العميق.

هو إنسان استيقظ على الفوضى، حسب رأيه، لأنه لم يجد سبباً يدفعه إلى الاعتقاد بأن الفوضى إيجابية بالنسبة إلى الحياة، يراها ببساطة جرثومة الحياة.

واللامنتمي يرى أكثر وأعمق من اللازم.. يرى اللامنتمي الطبيعة الإنسانية هي المريضة، واللامنتمي هو الإنسان الذي يواجه هذه الحقيقة المؤلمة.

الأفكار الرئيسة في "اللامنتمي": تجربة الضياع عند ويليام جيمس.. إحساس نجنسكي بأن الله نار متقدة في الرأس.. إحساس فان كوخ بأن البؤس لن ينتهي أبداً.. وقول إيفان كارامازوف: ليس الله هو ما أرفضه، إنما أريد أن أعيد إليه تذكرة الدخول.

يعرف ولسن جيداً بأن هناك قلائل من فكروا بنفس طريقته، وآمنوا بأن بليك كان على صواب بشكل جوهري، وأن النزعة الوضعية المنطقية كانت مخطئة بشكل جوهري أيضاً.

الحل برأي ولسن لمشكلة الضجر هو الحرية. والأمل الوحيد في نهضة ثقافية جديدة، لا يتحقق إلا بنزعة وجودية متجددة الحيوية تطرح بحسم بعيداً عن نفسها. والرؤية التافهة عن فراغ الحياة الإنسانية من المعنى، وعن تحول الوعي الإنساني إلى نوع من العدم. ولابد أن فكرة أن الوعي الإنساني يمكن أن يكون عدماً، والإنسان بهذا العمق والشمول، سواء من خلال الفن، أو الطبيعة، أو الدين، أو الجنس، برأي ولسن إن هذه اللحظات تكشف لنا أن المشكلة الحقيقية هي أن نتعلم أن نعيد ربط أنفسنا بـ"معنى ما" ليس غائباً كلياً عن عالمنا.

يقول في اللامنتمي ص ٤٥٥: "لابد أن تهاجم مشكلة الوعي استعادتها إلى مملكة الحيوية الواعية. لابد بواسطة الوعي. ولابد أن تهاجم أن يكتسب العقل قدرة جديدة على المناورة المرنة، قوة فوق الوعي نفسه، إذا كان للفلسفة أن تستمر. إن الوعي في الحالة الراهنة يشبه سيارة قيدت عجلة قيادتها، فلا تستطيع أن تسير إلى الأمام،إلا في خط مستقيم. ومن هنا يبدو سخف كل (المذاهب)، أو المناهج الفلسفية، من النزعة المثالية الأفلاطونية- حتى النزعة الوضعية المنطقية، فالسيارة تنتهي دائماً إلى وسط الحقل تنغرز في وحوله".

يؤكد ولسن بان الحرية تعني حرية الإرادة، فالإنسان لا يستطيع أن يعمل إلا إذا كان لديه دافع، فإذا لم يكن هنالك دافع، لم يكن هنالك إرادة. فالدافع ينشأ عن الاعتقاد، فالإنسان لن يفعل شيئا ما لم يعتقد بأنه ممكن وذو معنى، كما يجب أن يكون هذا الاعتقاد بوجود شيء، فالاعتقاد يعني بما هو حقيقي، إذا فالحرية تعتمد على الحقيقة. ثم يشرح لنا ولسن اللاحقيقية لدى اللامنتمي، حيث أنه يبتر حريته من جذورها، فيجد أن ممارسته لهذه الحرية مستحيلة في عالم لاحقيقي. ويشبهها باستحالة القفز حين يكون المرء في حالة السقوط إلى الأسفل.

يذكر لنا حالة الشعراء عندما يشعرون باليأس، حين يلوح لهم أنهم قادرون على الشعور بحالة من الإدراك أشد عمقاً، حيث يعلمون مباشرة أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً للاحتفاظ بمثل هذه الحالة. برأيه أن هذه الفكرة تبدو غامضة في أعمال سارتر وكامو وهمنغواي، وواضحة في أعمال ت، س، اليوت، ألدوس هكسلي.

تقوده أعمال هؤلاء إلى السؤال التالي: "كيف يستطيع الإنسان أن يكون أقوى؟" "كيف يستطيع أن يقلل من عبوديته للظروف؟

أهم الشخصيات الذي تحدث عنها ولسن مطولا في كتابه "اللامنتمي" وهو لورنس صاحب كتاب "لورنس العرب": "قلت إنني أكره المسؤولية، وإنني في حياتي كلها كنت أرى السعادة في الأشياء أكثر مما أراها في الأشخاص، والأفكار أكثر مما في الأشياء".

ويقول شخصية أخرى من شخصيات ولسن اللامنتميين وهو اوليفر كاونتليت: "الجاهلون والمخدوعون والسطحيون هم السعداء وحدهم بيننا".

كذلك من الشخصيات المهمة والتي احتلت حيزا كبيرا من كتاب "اللامنتمي" راقص الباليه الروسي نجنسكي، قال في مذكراته: "... أريد أن يفهم الناس، أني لا أستطيع أن أذرف الدموع فيما أكتب، وإنما أبكي في أعماقي".

يرى ولسن بان الفرضية القائلة بان رغبة اللامنتمي الرئيسة هي في أن يكف عن كونه لامنتمياً. وهو لا يستطيع أن يكف عن كونه لا منتمياً ليصبح برجوازياً عادياً، يرى بأن هذا التفكير يعيد اللامنتمي إلى الوراء بمراحل (إلى الذئب أو الطفل).

يعترف ولسن بان الرقص هو أبلغ أنواع التعبير الذاتي. ويأتي بمثال (نيتشه) حيث كان دائما يدعي بأنه راقص.

اللامنتمي برأي ولسن يريد أن يكون متعادلاً، ويكف عن كونه لامنتمياً. فهو يريد أن يحصل على إدراك حسي حر، واهم اللامنتمي كمثال: "لورنس.. فان كوخ.. همنغواي". أما اللامنتمين الذين أرادوا أن يفهموا الروح الإنسانية وأعمالها: "باربوس..وميتيا كارامازوف".

يرى ولسن بأنهم يسعون لكي ينجوا من التفاهة إلى الأبد، وأن تتملكهم إرادة القوة، من أجل حياة أكثر وفرة. أيضاً يريدون أن يعرفوا كيف يعبروا عن ذاتهم، لأنهم بواسطة ذلك فقط سيعرفون أنفسهم، وإمكاناتهم المجهولة.

في نهاية اللامنتمي يلخص لنا ولسن بأن كل مأساة لاانتمائية تم تدوينها في الكتاب لم تتعد مأساة التعبير الذاتي. حيث تكتشف اكتشافين عن طريق اللامنتمي الأول أن خلاصه كامن في التطرف والثاني أن فكرة الخروج إنما تأتيه على شكل رؤى ولحظات من الشدة.

أما في كتابه "ما بعد اللامنتمي" يتم التركيز على أهمية العمل إلى جانب المعرفة، برأيه الفلاسفة مخطئون عندما يفترضون بأن مهمتهم الوحيدة هي "معرفة العالم" ولكن "العمل" مهم كالمعرفة تماماً، يقول: "لا لتأمل لامجد في ذاتك وشعورك "أنت هنا" ولا لمراقبة الأحاسيس الورعة، لا عليك أن تعمل لتعرف "أنت هنا"، العمل، والعمل وحده هو الذي يقرر قيمتك".

الإدراك المعنوي برأيه أكثر اتساعاً وأهمية من "أنا أفكر"، يستشهد بقول برنتانو: "الوعي الذي يعد نقطة البداية للفلسفة".

في "ما بعد اللامنتمي" يفرد ولسن فصلا كاملا عن علم الظواهر الطبيعية. برأيه هذا العلم دراسة للطريقة التي يدرك بها وعي الأشياء. ومهمة علم الظواهر اختبار أمثال التجربة القصدية فيقول: "نعرف ما طبيعة الجسد، ونعي وجود النفس".

يؤكد بأننا لا نرى الألوان، بل نقرأ الألوان، غير أن هذه القراءة أصبحت أوتوماتيكية بحيث غدت رؤية.

يعتقد ولسن بان بعض الإيمان، والإحساس، ضروريان. كما يمكن للإنسانية المتطورة إمداد هذا الإطار من الإحساس بالهدف. يرى أن المشكلة في الإحساس مشكلة الوعي، وليس مشكلة المعرفة الصرفة.

يرى أننا نضمن وعياً كما يجب على الحيوان، لأن الشعور في الحيوان يعتمد على المحيط، وما أن يعرف الإنسان نفسه، بأنه ساكن أساسي في المحيط العقلي، وأن المقدرة على السيطرة الجديدة، على الوعي، حتى يمكن عندها تحليل الوعي ظاهرياً.

أيضاً يعتقد ولسن في "ما بعد اللامنتمي" بان الإنسان كما هو موجود الآن، ليس أكثر من حلقة مفقودة بين الحيوان والإنسان الحقيقي، وأول رجل يتعلم سر السيطرة على الوعي سيكون أول إنسان حقيقي، يملك "قدر الحرية".

يقربنا ولسن من الفلسفة الوجودية التي كانت في أوجها عندما قام بتأليف "ما بعد اللامنتمي" يرى أن هناك رأيين عن الإنسان: ١ -إن الإنسان في المجتمع، هو مثال الذي يجب أن يرتكز عليه فن العلاج النفسي، ولن نتوقع أكثر من هذا.

٢ - قد يقول قائل بأن علم النفس الوجودي يعترف بأن للإنسان طريقة وحيدة فقط، هي إذابة ذاته للخلق وللإبداع.

كما أنه يؤكد بأن الإنسان يعيش تحت رحمة السخافات والقابلية الإنسانية للسوداوية وصنع جبال ضخمة من تلال وهمية. فالإنسان يعرف ما يريد أكثر مما يعرف ما لا يريد.

ومعرفة المشكلة لا تعني حلها، أو إيجاد الجواب لها.

في مقدمة كتاب "سقوط الحضارة" كتب ولسن: "كان اللامنتمي ناقصاً، وكنت أهدف إلى ذكر وتنسيق دقائق، مسألة أجدها لأسباب شخصية ملذة جداً مسألة الحيرة الذهنية أو نصف الجنون".

يعود بقوة الى الإنسان اللامنتمي في "سقوط الحضارة" وهو على اعتقاد بان مرت سنوات وأصبح الشخص اللامنتمي بطل عصرنا، يقول: "كنت انظر إلى حضارتنا نظرتي إلى شيء رخيص تافه باعتبار إنها تمثل انحطاط جميع المقاييس العقلية، وبعكس ذلك فقد لاح لي اللامنتمي الرجل الذي يشعر لأي سبب كان بالوحدة وسط جمع من الذين لا يبلغون منزلته، وكان اللامنتمي إما مجنوناً يضع سكيناً في حقيبته السوداء ويفخر بأنه عديم الضرر، أو قديساً، أو حالما لا يهمه إلا أن يحصل على لحظة واحدة يستطيع فيها أن يفهم العالم ويكتشف الطبيعة والله".

يشعر ولسن بان اللامنتمي ليس غير عرض من أعراض هذا العصر، وهو من حيث الجوهر عاص، وسبب عصيانه انعدام الجانب الروحي في حضارتنا الغنية مادياً.

يقول ولسن: "اللامنتمي يظهرون كالبثور على جلد الحضارة المختصرة". فالإنسان برأيه يميل إلى أن يكون على طبيعة محيطة، إذا كانت حضارة مريضة روحياً فإن الفرد يعاني من المرض ذاته، وإذا كانت صحته الروحية تساعده على تحمل أعباء الكفاح فإنه يصبح لامنتمياً.

يتساءل ولسن كيف يستطيع أن يوسع الإنسان مدى إدراكه؟ يجيب بان البشر يعيشون في مدى من الحالات الذهنية وهذا المدى ضيق يقول: "هذا المدى الضيق لا يزيد

يرى ولسن بان الفرضية القائلة بان رغبة اللامنتمي الرئيسة هي في أن يكف عن كونه لامنتمياً. وهو لا يستطيع أن يكف عن كونه لا منتمياً ليصبح برجوازياً عادياً، يرى بأن هذا التفكير يعيد اللامنتمي إلى الوراء بمراحل (إلى الذئب أو الطفل).
يعترف ولسن بان الرقص هو أبلغ أنواع التعبير الذاتي. ويأتي بمثال (نيتشه) حيث كان دائما يدعي بأنه راقص.
اللامنتمي برأي ولسن يريد أن يكون متعادلاً، ويكف عن كونه لامنتمياً. فهو يريد أن يحصل على إدراك حسي حر، واهم اللامنتمي كمثال: "لورنس.. فان كوخ.. همنغواي". أما اللامنتمين الذين أرادوا أن يفهموا الروح الإنسانية وأعمالها: "باربوس..وميتيا كارامازوف".
يرى ولسن بأنهم يسعون لكي ينجوا من التفاهة إلى الأبد، وأن تتملكهم إرادة القوة، من أجل حياة أكثر وفرة. أيضاً يريدون أن يعرفوا كيف يعبروا عن ذاتهم، لأنهم بواسطة ذلك فقط سيعرفون أنفسهم، وإمكاناتهم المجهولة.
في نهاية اللامنتمي يلخص لنا ولسن بأن كل مأساة لاانتمائية تم تدوينها في الكتاب لم تتعد مأساة التعبير الذاتي. حيث تكتشف اكتشافين عن طريق اللامنتمي الأول أن خلاصه كامن في التطرف والثاني أن فكرة الخروج إنما تأتيه على شكل رؤى ولحظات من الشدة.

على نوتات الثلاث الوسطى في البيانو". يعتقد بأن مدى الحالات الذهنية يمكن أن يشمل على جميع مفاتيح البيانو، وأن هدف الإنسان الوحيد هو توسيع مداه من النوتات الثلاث إلى النوتات كلها.
يؤكد بان الظروف التي نعيشها فيها تفعل بنا، وهذا ما يحدث في أية حضارة صاخبة يعلق: "كالدينامو لا تفسح مجالاً للدعة والتأمل"، لذلك يبدأ الناس برأيه يفقدون الشعور الداخلي بأشكال الكينونة اللامعروفة، يقول: "بمعنى الهدف الذي يمكن أن يجعل منهم أكثر من مجرد خنازير كفوءة جدا"، يعتقد بأن هذا هو الرعب الذي يثور اللامنتمي ضده.
يعود في "سقوط الحضارة" إلى أبطاله من المبدعين الذين قام بتصنيفهم على أنهم لامنتمين، ليؤكد بان اللامنتمي ليس مضطراً ليرضي الآخرين ك ت. س. اليوت الذي أدعى بتواضع بأن قيمة مؤلفاته تعود إلى أنه كتب ما أراد أن يكتب دون أن يكون مضطراً إلى إرضاء أحد غير نفسه. وفي نفس الوقت يعول فشل الشاعر الألماني ريلكه بأنه لم يستطع أن يفعل أي شيء غير أن يكتب الشعر، يعتقد ولسن بأن أحد أسباب فشل ريلكه يكمن بأن لديه الإرادة التي تمكنه من خلق حياته بتلك الحكمة، لذلك فشل في تحديد هدفه، ولم يقم بتركيب تجاربه، إلا من أجل الفن والهدف الفني، لا من أجل تجارب أعمق وأوسع.
يعترف ولسن بأنه بعد أن قرأ مذكرات نجنسكي، وأمعن في لوحات فان كوخ تبلو وتتدهور، انه مفهوم اللامنتمي يقول: "لن أضيع حياتي كما يضيعها هؤلاء، وهذه المشكلة هي القوة الكامنة في استمراريتي في العيش، وما الكتابة إلا أسلوب واحد من الأساليب التي اتبعتها في حلها، أما الجواب فيلوح إنه كامن في تحقيق حالة ذهنية تدعى الرؤيا، ولهذا فإنني أفضل أن أدرس قبل كل شيء مشكلة تضييع البشر لهذه الرؤى رؤيا نيتشه على قمة التل: حقل الحنطة الأخضر الذي رسمه فان كوخ وذكريات باسكال وطبق الذي عرفه بوهمه، تلك اللحظات البصيرة والإدراك الرائعين اللذين يختفي فيهما هدف الحياة، بل إن هذا هو بصورة نهائية الشيء الوحيد، الذي يستحق أن يحققه الإنسان".
صورة اللامنتمي حسب تصور ولسن: الرجل الذي لا يكف عن الرغبة في الملاحظة والتجربة، حتى إذا كان ذلك يعني تجربة الموت.
يرى أن البشر يأتون ويذهبون والمجتمعات تتغير والحضارات تسمو، ثم تنحط وتتدهور، لكن البشر يظلون حمقى. يأتي بسؤال اليوت الذي سأل: "أين الحياة التي ضيعناها في العيش؟". اللامنتمي برأيه هو الرجل الذي يسيطر عليه مفهوم تفاهة الحياة، وأن كل المنتمين الحديثين الذين كتب عنهم شعروا بأن هنالك طريقاً ما للخروج من الطريق المسدود، لكنه يؤكد بأن البحث الدقيق أظهر إن السلوك يرجع إلى الظروف الشاذة التي تتميز بها حضارتنا، لأن المقاييس الروحية تلاشت.
خلاصة اللامنتمي برأيه يكمن في التطرف، يقول: "إن اللامنتمي يكف عن كونه لامنتمياً، حين يشغله أمر حين يقلقه قلقاً جنونيا الحاجة إلى الخلاص".
يرى أن اللامنتمي في مراحله الأولى يفهم الجحيم أكثر من فهمه للجنة، وهو يفهم الجنون أكثر من فهمه لجنون العباقرة السامي، الذي هو الجنون الوحيد، الذي يريد أن يفهمه بصورة نهائية، ويعتقد بأن جنون البورجوازيين ليس جنونا حقيقيا، وإنما هو كماء المستنقع الآسن، الذي يلوح هادئاً رقراقاً في حين إنه ليس كذلك، لكنه لا يعرف نوعاً أخر من الجنون.
اللامنتمي والتأريخ: وهنا يذكر ولسن شبنغلر مؤلف كتاب "تدهور الحضارة" شبنلغر برأي ولسن لا يبحث بالفعل إنما يقرر فقط، وهو لا يكترث لإعطاء أي سبب للأشياء التي يقررها، يقول صراحة: "إن ما يصنع المؤرخ الحقيقي لتميزه عن منظف الأتربة. الأكاديمي يكمن في معرفته الفطرية للمعاني الكامنة وراء الحوادث، ولا تختلف هذه الموهبة عن تلك التي تصنع رجل دولة بدراستك لحياة كاتو ومازاريل وذرائيلي فقط، ولا تستطيع أن تكون قائداً محنكا بدراستك لكوزويتس أوفوش. إن رجل الدولة، أو القائد المحنك، وهذا ما يجب أن يتميز بفطرة حيوية، إلى جانب الطاقات العملية، وهذا ما يجب أن يميز المؤرخ كما يرى شبنغلر".
كذلك يرى شبنغلر أن ما يميز العظمة دائماً، هي الفطرة المدركة لا المنطق.
نرى بأن ولسن حاول خلال أكثر من مؤلف أن يدرس طبيعة الإنسان اللامنتمي من خلال ثلاثة أنظمة: العقلي والجدي والعاطفي، وكان يمثل ت، ي لورنس ونجنسكي وفان كوخ. يعترف ولسن بأن حضارتنا تشكو من مرض لورنس فهي عاقلة أكثر مما يجب مع ما يتبعه ذلك من جوع عاطفي وجسدي؛ والوجودية هي احتجاج من أجل الكمال والتعادل. لكنه يعتقد أنه من الصعب الاهتداء إلى وصفة تفيد اللامنتمي الفرد والحضارة، ومع هذا فالوجودية تلعب في القرن العشرين في الدور نفسه، الذي لعبته المسيحية في الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول؛ ينفي ولسن بان النتيجة ستكون مماثلة، ولكن قد ينفع لتجنب التشاؤم التام.
الحل: يرى أن الحل بالنسبة للامنتمي الفرد هو الاستمرار في محاولة الحصول على مدركات جديدة، ينفي أن تكون الظروف الحالية سيئة إلى الدرجة التي يجب أن تكون عليها، بل أن مقارنتها بالظروف التي أعقبت الحرب العالمية الأولى تجعلها باعثة على التفاؤل، يرى أن هناك ميل إلى ثورة عقلية مع العبء الذي ما يزال ملقى على عاتق اللامنتمي الفرد.
يقول: "إذا كان عصرنا يقف على حافة السقوط الأخيرة كالحضارة الإغريقية في عهد أفلاطون في تأمله في مشاكل آخرى أقل مباشرة من ذلك؛ وهذه العزلة هي الشرط الأساسي للبقاء على قيد الحياة، كما أنها علامة التفاؤل النهائي.

الفوضى أعمق من النظام

كتاب اللامنتمي لكولن ولسون دراسة واسعة لشخصية اللامنتمي كما تتجلى في آثار كبار الشخصيات والفنانين، فيحلل آثار كافكا ودستوفيسكي وهمنغواي وكامو وسارتر ونيتشه وفان كوخ ولورنس وهنري باربوس وسواهم تحليلا يأخذ بمجامع القلوب ويلقى اضواء ساطعة على روائح هؤلاء الكتاب والفنانين.
وقد قال احد النقاد ان اللامنتمي هو اعظم كتاب في التحليل صدر في اوروبا منذ كتاب سقوط الغرب لاشبنجلر وقال اخر: إنا لا نكاد نصدق ان مؤلفه فتى في الرابعة والعشرين
هناك دائما نوع من الاشخاص يعتبر ذا أهمية خاصة وتجتمع فيه الصفات التي يمكن ان تجعله صورة صادقة لعصره .وتجد هذا النوع بطلا في عصر وثائرا في اخر واحد افراد الحاشية في عصر ثالث و قديسا في عصر رابع.
عندما ظهر كتابه الأول (اللامنتمي) في ستينيات القرن الماضي لم يتوقع مؤلفه (كولن ولسون) أن يحظى باهتمام واسع من قبل الشبيبة الاوروبية والاميركية وان يترجم إلى مختلف لغات العالم. في ذات الوقت الذي ابدى فيه نقاد الادب هناك ازدراءهم واستخفافهم بـ (الجهد) الذي بذله المؤلف عبر مطالعاته الموسوعية العميقة لسير ونتاجات قادة الفكر الاوروبي ودراسته مصادر وينابيع الفلسفات. ومحاولته ايجاد روابط بين سير هؤلاء المفكرين وما قدموه من نتاج فكري ورؤيا فلسفية وصولاً إلى اصراره على الامساك بخيوط (اللاانتماء) من خلال تلك السياحة الثقافية الشاملة.
وكان من اللافت لشخص في مثل ظروف (كولن ولسون) أن يتوفر له الوقت والمواظبة ليواصل الساعات الطوال كل يوم ولعدة سنوات في مكتبة المتحف البريطاني الشهيرة من اجل القراءة الجادة والمعمقة في محاولة للوصول إلى (اكتشافات) جريئة عبر آلاف الكتب التي طالعها بوعي وتصميم لبناء استنتاجات متميزة وهو في العشرينيات من عمره. وكان شيوع كتابه (اللامنتمي) بمثابة (صدمة) واجهت نقاد الادب في اوروبا وامريكا فحاولوا الاستهانة بهذا الكتاب بل لم يتورع بعضهم عن وصفه بأنه نوع من (الصرعات) الحديثة التي اجتاحت الشبيبة الاوروبية والاميركية في تلك المرحلة التي ظهرت الطبعة الاولى من ذلك الكتاب. والطريف ان (كولن ولسون) كما قال هو نفسه قد أصيب بالدهشة للشهرة الواسعة التي حظي بها هو شخصياً اثر صدور هذا الكتاب.
وفي حقيقة الامر فان مضامين كتابه (اللامنتمي) تشكل للقارئ موسوعة شيقة وواسعة لابرز الكتب في عصور مختلفة... وفي محاولة لرسم ملامح (وجودية جديدة) لنموذج اللامنتمي للانسان من خلال تحليله للسير والكتب الفلسفية والروايات والمسرحيات ودواوين الشعر لعدد هائل من المفكرين في شتى صنوف المعرفة. وفي الطبعات اللاحقة لظهور الطبعة الاولى من هذا الكتاب، كتب مقدمة مسهبة لتجربته الشخصية في اعداد وتبويب الكتاب بل وحرص ان يدون تجربته لمحاولة الكتابة تحت تأثير المخدرات ووصف بدقة اللحظات التي رافقت هذه التجربة. وباستثناء بعض الظواهر الجانبية الجزئية لتلك التجربة فقد توصل إلى اقتناع بأن الكتابة الحقيقية لابد ان تتمحور في الوعي التام للكاتب حتى لو رافقت مسيرة بعض الشخصيات التي درسها وحلل نتاجاتها الفكرية من اجواء غير اعتيادية بل و(هلوسات) تقود إلى حالات اللاتوازن، فان الاصل والمنبع الذي ينتج الابداع هو الوعي والصفاء لتومض عبقرية هؤلاء المفكرين والشعراء.
وقد ترجم كتاب (اللامنتمي) إلى العربية وأبدع في تعريبه المترجم العراقي القدير زكي محمد حسن حتى انه (نحت) تعبير (اللامنتمي) بعد ان وجد انه انسب وأفضل تسمية عربية للعنوان الانكليزي الاصلي للكتاب. ومنه أخذ الكتاب والنقاد العرب يتداولون هذه التسمية وظلت حتى الآن هي المعتمدة في دراسة وتقويم هذا الكتاب وكتب (كولن ولسون) اللاحقة. وكتاب (اللامنتمي) يصلح للقارئ العادي والقارئ المثقف المتفحص. فالأول يجد فيه خلاصة مركزة لاشهر وأبرز الروايات العالمية وقسم منها لم يترجم للعربية لاسباب شتى. في حين يتعامل النوع الثاني من القراء مع الكتاب كجهد (وثائقي) للنصوص والسير الذاتية للمفكرين الذين تناولهم وابراز أهم مواقفهم الحياتية وصولاً إلى خدمة هدفه من تأليف هذا الكتاب. وهو تأكيد تفرد النموذج اللامنتمي بل وتجزئة مواقف هؤلاء الرصد (حالات) من اللاانتماء لمفكرين عرفوا بمناهجهم ومدارسهم الفكرية وفلسفاتهم في الحياة وازاء الكون.
وبعد النجاح الواسع لكتابه الاول (اللامنتمي) أصدر كولن ولسون كتابه الثاني بعنوان (سقوط الحضارة) وهو كتاب قد يكون عسير الاستيعاب على القارئ العادي فهو كتاب موجه أساساً للنخب المثقفة وتناول فيه بتكثيف شديد مسيرة الحضارات والتحولات الكبرى في التاريخ الانساني. وبعد ظهور (سقوط الحضارة) تراجع نقاد الادب في الغرب عن نهج الاستهانة التي ابدوها حيال كتابه الاول فنشرت ابحاث ودراسات رصينة في تناول استنتاجات كولن ولسون سواء التي تضمنها (اللامنتمي) أم كتابه الاخر (سقوط الحضارة).
وبرغم ان كولن ولسون كان يتعامل في تحليلاته للروايات والمسرحيات الشهيرة في تاريخ الادب العالمي فأنه قرر أن يدخل ككاتب إلى ميدان الرواية الادبية. فكتب روايته (طقوس في الظلام) و(ضياع في سوهو) وكانت (المفاجأة) هي الفشل الذريع الذي حصل عليه (ولسون) في الكتابة الروائية. ففضلاً على افتقادهما إلى التكنيك الروائي السليم فانهما تفتقدان الحس والانسابية في البناء القصصي بل وتبعثان الملل عند القارئ الذي لم يجد فيهما أية اضافة ابداعية جدية إلى عالم الرواية العالمية. ويمكن القول انهما يمثلان اخفاقاً واضحا في قدرة (كولن ولسون) في خلق رواية حقيقية تغني الادب العالمي.

كولن ولسن
اللامنتمي واستعادة اللغة المفقودة

علي حسن الفواز

دائما يسحب ظله الثقيل، ويشدّ انفاسه في صدره ليوحي بانه اكبر من العالم الذي يحوطه، العالم الذي يتلصص عليه، ويهدد نظامه الانطولوجي بالغياب، انها بعض اغواءات لعبة اللامنتمي التي ارادها ان تكون كولن ولسن مواجهة مباشرة وساخنة مع العالم العقلاني جدا. العقل ليس لعبة اثيرة في اشتراطات وعيه المتمرد، والعقلاء لايطمئن اليهم، لانهم الاكثر صناعة للشر، والاكثر صناعة للحروب والاستبداد والظلم، هذا التبرير (الشخصي)لفوبيا العقل اوهمه كثيرا بان اللامنتمي هو الكائن التطهيري الذي يشكل النموذج المتعالي لمفهوم بطولته، مثلما هو النوع الاخلاقي لجيل مابعد الحرب العالمية الثانية التي مات فيها اكثر من اربعين مليون انسان، والتي صنعها(جنرالات)عقلاء جدا، وربما صنعت بعض وجوهها فلسلفات وايديولوجيات(الانتماء)الشوفيني للعرق والقومانية، وربما بسبب العقلانية المفرطة التي فرضتها الدول المحاربة على كل شيء، على النظام السياسي، وعلى الايديولوجيا، وعلى الثقافة، وحتى على الجنود البسطاء المحرومين من الاجازات والليالي الملاح، ومن مضاجعة زوجاتهم على اسرّة نظيفة، وحتى سماع الموسيقى والتمتع بالطبيعة التي لاتنفجر تحت أقدامهم. ربما كان سر اللامنتمي عند كولن ولسن يكمن في لعنة (البير كامو)هذا المغامر والمشاكس والمنحرف، والذي اوهمه كثيرا بان البطولة تكمن في تعاليات التمرد والنفور واللاوجودي، والاحساس الغرائبي باللامبالاة ازاء الاخرين، حتى قيل ان كتاب(اللامنتمي) الذي كتبه كولن ولسن عام ١٩٥٦ هو الوجه الانكليزي لكتاب البير كامو (الغريب) أي ان هناك تماثلا افتراضيا بين الكائن اللامنتمي والكائن الغريب، لان كليهما يسعيان لتحقيق فكرة(الرغبة)التي هي جوهر الحرية، كما انهما يضعان الانسان صاحب هذه الرغبة/الحرية عند حافة القلق، والاحساس بان العالم اكثر اقترابا من العدم الذي يمثل الذروة او الموت، ربما ان عدم كامو كان عدما وجوديا خالصا، فيه الكثير من الفلسفة والاحساس المتعالي بحرية الفرد، والتمرد على النسق الاخلاقي للوجود، لكن عدم كولن ولسن هو عدم اقل فلسفة واكثر هشاشة، هو الاكثر تماهيا مع النموذج الفرويدي في اضطراباته النفسية والجنسية، حيث اللغة/الاعتراف/الكشف تكون هي نصه التعويضي الايهامي والاستغراقي، لكن مايجمعهما في هذا السياق هو الرغبة والتمرد، واللامكوث، والاحساس بعبثية الوجود.

شفرة اللامنتمي عند كولن ولسن تحولت الى شفرته الشخصية، بكل ماتفترضه من محمولات باعثة على استقراء نزعة التمرد العقلاني والطبقي والجنسي، وحتى التمرد اللغوي، فهو اذ عاش طفولة قلقة، ملتبسة، واقعية جدا، حالمة ومطرودة في آن، كل شيء فيها مهدد بالموت، فانه وجد مبكرا في لعبة الهروب من(العسكرية) مايماثل ابتكاره لعبة اخرى في مواجهة العالم العقلاني من خلال الافراط في النزوع الى الاحاسيس اللجوجة، والمشككة، وفي ابتكار المزيد من(فائض الوعي)الذي ساكنه، ليكون نوعا من التجاسر الرمزي على اية فكرة اخلاقية، وطبقية فيها بعض الرائحة الـ(فكتورية) بكل صرامتها وتقاليده، والتي تفرض عليه شروط الخضوع الى سياق التابع الفاقد لارادته، والعالق برهاب المقدس. اللامنتمي في هذا التوصيف كان نقيض هذا التابع، اذ هو صانع التمرد المبكر على العائلة والدين والطبقة وقيم العمل، ولعله وجد في اغلب الشخصيات التي قرأ عوالمها مبكرا، والتي دونها في كتابه(اللامنتمي) بدءا من لورنس مرورا بدستوفسكي وهمنغواي ونيتشه وفان كوخ وغيرهم، وانتهاء بهنري باربوس الذي كان يرى العالم من ثقب بابه، مايتوق الى التمثل به من عوالم هذه الشخصيات المضطربة، العصابية، التي لاتنتمي الى عقائد او احزاب اواديان معينة، والتي عاش فكرتها الساحرة، وكأنها فكرته الداخلية التي استغوته (لذتها) واثاراتها، بكل ماتستدعيه من صور، وبما تعالق بها مع الحيوات السرية لعوالم هذه الشخصيات التي كانت تطارده تماما، وتفرض عليها سحرها الغامض، وتجذبه الى استيهاماتها المهيجة لهواجسه الاشباعية، تلك التي ظلت تحاصره بالكثير من الكوابيس والتمردات، والاستعادات. هذه الشخصيات تحولت الى شخصياته، اذ وضع مفهوم اللامنتمي نسقا لكتابات اخرى، او سلسلة من الكتابات التي تكرس الاطار المفهومي والنفسي للامنتمي، فقد كتب ضمن هذه السلسلة كتب(عصر الهزيمة، قوة الحلم، اصول الدافع الجنسي، مابعد اللامنتمي) والتي وجد ان نظامها التشفيري يقوم على اللغة، اذ تحولت هذه اللغة، خاصة في مركبها ومحمولاتها الرمزية والنفسية الى فضائه الاثير الذي يجعله اكثر قدرة على التلصص على العالم. هذه النزعة الغرائبية عند كولن ولسن تحولت الى موقف شره من العالم، اثار حوله الكثير من اللغط، وربما الخوف، لانه كان يكتب منظوره الوجودي للشخصيات من منظور نفسي/عصابي، وان الايهام بانه يفلسف ماحوله، او انه يجد في فلسفة سارتر الوجودية بعض مرجعياته، اثبت ضعف ادواته الفلسفية وحتى ادواته العيادية، لذا ظل يبحث عن نزعات اخرى للدفاع عن لعبته الشاقة، فوجد في كتابة الرواية ذاتها الطريق السحري لصناعة شخصيات عصابية تشابهه، بعيدا عن استعاراته المربكة لشخصيات مثيرة ومحيرة من الاخرين، خاصة من الروائيين الذين يحبهم مثل مارسيل بروست..

كولن ولسن الروائي القلق..

كتابات كولسن الروائية، رغم كثرتها(طقوس في الظلام، ضياع في سوهو، رجل بلا ظل، القفص الزجاجي، طفيليات العقل، الاستحواذ، الحالم، وغيرها) لم تمنح ولسن خصوصية التفرد السردي، لانه كان يعيش هاجس اللامنتمي الذي ظل يلاحقه، ويفرض شروطه الحسية والنفسية عليه، ولانه كان يعيش ايضا الكثير من الطقوس الاستعادية للاخرين الذين يشاطرونه لعبة الاكتشاف، ففي رواياته نجد الكثير من خبرته المحدودة في المنظور الوجودي الفلسفي، او تمثله للنزعة التجريبية الدائمة في الكتابة الروائية، خاصة في نماذجها الرائدة لمارسيل بروست، وجيمس جويس، ولانه كان يؤمن ايضا باهمية عالم الرواية، بوصفه عالما للسرد الذي تفجره اللغة، وبوصفها ايضا بنية حكائية تتراكب فيها الشخصيات مع الاحداث، خاصة الشخصيات المأزومة القلقة، والاحداث التي تشتبك فيها ثيمات الجريمة والخطف والخيانة والمرض النفسي، ولعل كتابه المميز عن فن الرواية يضع منظوره للرواية بوصفها التحول الاخطر في اعادة كتابة الحياة والتاريخ والانسان، وانه يضعها المقابل الذي يواجه به مهيمنات الفلسفة المعيارية،

حدّ انه يقول بان(الرواية قد غيرت ضمير العالم المتمدن) وان الرواية هي رمز للقوة المعرفية، لكن رغم هذا فان مايميز روايات كولن ولسن ليس قوتها البنائية كماهي عند الروائيين الكبار الذين تأثر بهم، بل بنيتها النفسية، وخصوصية شخصياتها التي تعيش فكرة اللاانتماء، والتي تجعل من هذه الروايات محتشدة بمكونات صراعية وازمات تعيشها شخصياته المضطربة وغير المنتمية(لصوص، مجرمون، خاطفون، منحرفون وشواذ)، والتي هي الاقرب الى ما يعيش تحت اضهاده من الهواجس الحسية التي تجد ان فكرة اللانتماء هي مثاله الفلسفي والنفسي وحتى الديني، الاّ انه يضعها في مركّب نفسي، صراعي، فيه الكثير من الاسترجاعات، والانحرافات والشذوذ والتمرد، وبما يضع ابطال هذه الروايات وكأنهم الاقنعة المتعددة لهذا اللامنتمي الذي لايرى العالم الاّ تحت هذا الهاجس المتعالي والعصابي والحسي.

ولسن القارىء المنحرف،

قراءات كولن ولسن لابطاله، هي صورة لنموذج القارىء الذي لايرى في العالم المقروء، الاّ مايشبع مخيلته المنحرفة، المخيلة المسحوبة الى طفولة غرائبية، والى وعي صادم، ليس مثاليا، لكنه صورة للوعي المأزوم بالكثير من الصور، والنماذج المرضية الجنسية والعاطفية، وهو مانجده في بطولات روايته المليئة بالشخصيات المنحرفة، وفي اختياراته لقراءة الشخصيات في كتبه الاخرى، اذ تبدو هذه الشخصيات وكأنها نماذج(عيادية)لفرويد الذي يمثل واحدا من رموزه الاثيرة.

لم تكن قراءته لكينونات هذه الشخصيات العارية في التاريخ والعيادة والسرد والواقع، قراءة مجردة، او لتحقيق التناغم النفسي الذي ينشده حسب، بل ان هذه القراءة تهيّج في نفسه ايضا احساسا عميقا بالانشداد الى مرجعيات منظوره الاول لفكرة اللامنتمي، ولانه يجد في الروايات العالم الذي يظنه اكثر حقيقة من الواقع، فهذا مايجعله اكثر تلذذا باستعادتها، وحتى تأطير كتبه الاخرى بهذا التمثل السردي، وحتى القصدية في استحضارمجاورة افتراضية بين قراءة الرواية وبين قراءة السيرة باخضاعها الى سحرية النص السردي، اذ ان هذا التركيب يتيح له معاينة نفسية لما تتركه من اثر في الوعي الانساني على اساس تداعيات هذا التجاور، والتي ستكون ايضا بمثابة مشاغل سريرية ووصفية للكشف عن ازمة(انسانه) المريض، واللامنتمي، ولانها ستلامس ايضا كشوفات وعيه في النص السردي، الذي يقابل النص العيادي عند فرويد ويونغ وادلر، وهذا مايجعله الاكثر تعبيرا عن وعي التحولات المعقدة التي يعيشها الانسان/انسانه بمواجهة ازمات الوجود والخوف والحرية، فضلا عن كشفه لسرائر وعي هذا الانسان ازاء ثيمات الصراع مع قوى غامضة بهدف الاستحواذ والهيمنة، واشاعة فكرة التعالي، والتي وجد في نموذج لورنس الانكليزي المحارب ايهاما سريا مع مثيولوجيا الحكمة الغائبة، والتي يختلط فيها النزوع الماسوني، مع عقدة الكائن المتعالي..

في كتابه الثاني(الدين والتمرد)الذي كتبه عام ١٩٥٧ وضع تواصلا شعوريا ولغويا مع هذه النزعة الملتبسة الغاضبة التي عاشها، والتي عاشها كوعي وجودي صاخب، مثلما عاشها كنزعه نفسية مضطربة، ربما هي تشبه كل النزعات الفوضوية التي عاشتها الاجيال الغاضبة على محنة الحرب الطويلة والدامية، والتي كان الانسان الملتزم ضحيتها الاخلاقية. في هذا الكتاب حاول ان يزاوج بين نزعته العميقة للتمرد، وبين رواسب احساسه القديم المشغول بالتدين العائلي، والالتزام الواقعي بقيم الوجود والعمل، وكان يسعى تحت اندفاعات نزعاته الغرائزية واللغوية والنفسية الملتهبة الى تفكيك هذه العلاقة، وبالاتجاه الذي يجعل فكرة اللامنتمي هو نموذجه الانطولوجي القريب من كل الفلسفات الخارجة من(معطف)الالتزام.

اللامنتمي هذا السياق هو قرين ظاهرة الوعي الاشكالي الذي اصطنع لقوته حضورا متسائلا، اذ يعيش كل تمثلات الانسان المعاصر، وازمات وجوده وحريته، مثلما اصنع له وعيا فائقا بمواجهة التيارات المهيمنة للادلجة والواقعية والاشتراكية، والتي ظل العديد من الشيوعيين الاوروبيين يعيشون صراعاتها واسئلتها وفجائعها، والذين كانوا ينظرون الى النموذج الستاليني على انه يمثل رهاب تلك الواقعية والايديولوجيا والالتزام، وان الحرية بمعناها الانساني، تقتضي النزوع الى ماهو خارج هذا الرهاب، وهو ماعاشت تداعياته وفجائعه بعض دول اوروبا الشرقية التي ادركت ان الحرية تقع في الجوار وليس في الضفة الاخرى، وان كائن هذه الحرية هو صانع حرائق من طراز اخر، وان اول مايحرقه هو اوهامه في الخوف والمقدس والانتماء.

يرى كولن ولسن في هذا اللامنتمي بانه(الانسان الذي يدرك ماتنهض عليه الانسانية من اساس واه، وهو الذي يجد في الاضطراب والفوضوية اكثر عمقا وتجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه. انه ليس مجنونا، هو فقط اكثر حساسية من الاشخاص المتفائلين صحيحي العقول، مشكلته الاساسية هي الحرية، هو يريد ان يكون حرا، ويرى ان صحيح العقل ليس حرا واحسب ان هذا التوصيف تحول الى موقف، اكثر من دراسة منهجية في معاينة هذا النموذج،

شفرة اللامنتمي عند كولن ولسن تحولت الى شفرته الشخصية، بكل ماتفترضه من محمولات باعثة على استقراء نزعة التمرد العقلاني والطبقي والجنسي، وحتى التمرد اللغوي، فهو اذ عاش طفولة قلقة، ملتبسة، واقعية جدا، حالمة ومطرودة في آن، كل شيء فيها مهدد بالموت، فانه وجد مبكرا في لعبة الهروب من (العسكرية) مايماثل ابتكاره لعبة اخرى في مواجهة العالم العقلاني من خلال الافراط في النزوع الى الاحاسيس اللجوجة، والمشككة، وفي ابتكار المزيد من (فائض الوعي)الذي ساكنه، ليكون نوعا من التجاسر الرمزي على اية فكرة اخلاقية، وطبقية فيها بعض الرائحة الـ(فكتورية) بكل صرامتها وتقاليده، والتي تفرض عليه شروط الخضوع الى سياق التابع الفاقد لارادته، والعالق برهاب المقدس.

ولعل هذه المفارقة هي التي ابعدت كولن ولسن عن الاهتمام المنهجي العلمي كما عند علماء النفس الذين درسوا الشخصيات العصابية، وعند الروائيين الذين اختزلوا العالم في رواياتهم، فهو لم يصل الى مستوى سكوت فيتزجرالد الذي يعد بانه(شخصية القرن)اونموذج الشخصية المعاصرة، مثلما لم يصل الى مستوى جيمس جويس في ابتكاره لتيار الوعي في الرواية، وغيرهم.

القراءة العربية لكولن ولسن..

لعل من اكثر الذين اهتموا بفلسفات وادب كولن ولسن هم العرب، وقد ترجمت كل اعمال ولسن الى العربية، وبات نموذجه الحسي والعيادي، وصور الابطال الذين يختارهم في كتبه بدءا من اللامنتمي عام ١٩٥٦ هو النموذج الاكثر اثارة واكثر استدعاء للتوظيف في المشغل الفكري الذي بدا ضاجا في بداية الستينيات، حيث كان الهم السياسي قرينا بالهم الجنسي، وان البطل المخذول سياسيا يتعالى جنسيا، ويجد في هذا التعالي بطولته الخبيئة، مثلما يجد في النزعة الفيتشية الجنسية ذروة هيجانه ولذته وتعويضه عن الخيبة. كما ان كتبه الاخرى وجدت في هذا الفضاء الرخو نوعا من التزجية التي تعطي لها الكثير من الدافعية، خاصة تلك الكتب التي مست التابوات العربية، بما فيها كتبه(اصول الدافع الجنسي والشعر والصوفية وضياع في سوهو).ونجد ان مبيعات كتب كولن ولسن وعدد الطبعات التي طبعت بها هذه الكتب تؤكد هذا النزوع الذي تحول الى عدوى، والى مصدر مهم لمقاربة ازمة شخصية اللامنتمي، باعتبارها شخصية انسانية تعيش عقدة الاضطهاد والعزلة ورهاب الاخرين، وهو ماعاشته الشخصية العربية السياسية التي واجهت الكثير من المركب الاضطهادي في المنافي والسجون، وعند رهاب السلطة، وفي العزلة خوفا من الاخرين.

N WILSON

الأدب في نظر كولن ولسون

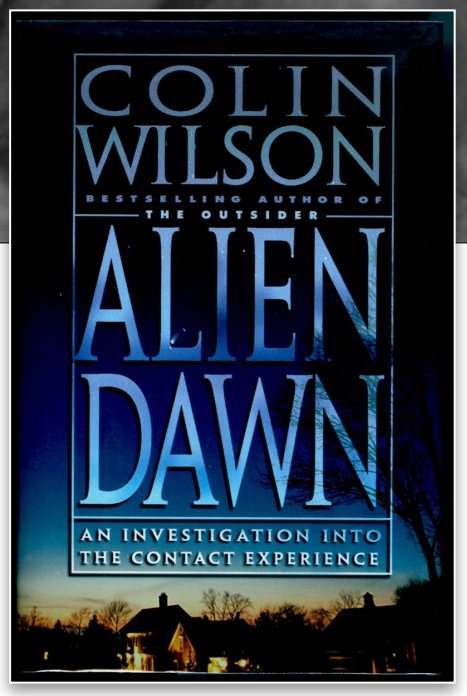

كثيراً مايعود روائيون لاستغوار التجربة، وربما تعميمها، مقاربة لفن الرواية الجميل والمثير، لكنهم في الأعم الأغلب يذهبون لاستقراء تجربتهم كروائيين وقراء في آن معاً من أمثال ماريو باراغاس يوسا، وانريكي أندرسون امبرت، وغبرييل ماركيز فيلتقطون زوايا خفية، ويقفون على تلك الظلال المضيئة التي تجذبنا لرواية بعينها. ولعل المحاولات وأن تشي بنزعة تعليمية - درسية، إلا أنها تستبطن دفاعاً ذكياً عن الرواية، ونفياً صريحاً أو مواربا لمقولة موتها أو اندثارها.

ترى هل وقف الروائي كولن ولسن صاحب سقوط الحضارة وضياع في سوهو واللامنتمي، على مسافة من مقولة موت الرواية، بخبرته الوجودية وفلسفته، ليصوغ رؤيته في فن الرواية ؟!

كان يمكن لكولن ولسن أن يذهب لتدريس منهج عن الكتابة الابداعية عام ١٩٧٤ باحدى جامعات نيوجرسي (روتجرز) اثر محاولة سابقة في احدى الكليات بولاية فرجينيا، لكنه توصل إلى نتيجة حاسمة أنه لا يمكنه تدريس مادة الكتابة الإبداعية لأن المبدأ الأساس للإبداع - برأيه - هو البقاء للأصلح، وبمعنى آخر إن «الكتابة الابداعية عملية شاقة كالصعود إلى أعلى التل، حيث يتساقط الضعفاء، بينما يواصل الأقوياء بتؤدة كي يصبحوا كتاباً جيدين».

وهكذا يضع كولن ولسن في كتابه فن الرواية بكثير من التبصّر مقترحاته للفن الروائي محاججاً مقولة موت الرواية، حيث ظلال كثيفة لفلسفته الوجودية، تتواشج في تحليله لعشرات الأعمال الابداعية، لتشكل منهجاً يرفد قراءة واعية وناقدة ومستكشفة تتطيّر من معيارية صارمة، سوى من تلك الأدوات التي تقارب الرواية بأزمنتها وأمكنتها وثيماتها. إذ يبتدئ من صنعة الإبداع، واستحضار شرطها المعرفي، يتحدث عن الحيلة الأساسية للابداع، هي أن يعلم الكاتب، أن يسأل نفسه الأسئلة المناسبة، ومن ثم يقدم له تلميحات تساعده على كيفية ايجاد الجواب، فالابداع ليس سراً مقدساً، هو موهبة حل المشكلات، ومثاله رواية البحث عن الزمن المفقود لبروست.

هذا السياق ربما يذكر بما قاله جان بول سارتر في كتابه ماالأدب؟ بأسئلته المثيرة والصعبة ما الكتابة؟ ولماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟ وماموقف الكاتب في العصر الحديث؟ بيد أن ولسن ينتقل بالأسئلة إلى مستويات أخرى دالة ماذا أكتب؟ من أنا؟ ماذا أبغي أن أكون؟ والهدف بالطبع أن يعرف الكاتب ما اذا يريد؟ كولن ولسن يستدرج قارئه لحقل دلالة أوسع، ولقضايا تبدو شديدة العمق ومن شأنها أن تثير سجالاً، عندما يرصد السبب الذي حمل النقاد على أن يقولوا: إن الرواية بدأت بالانهيار منذ مطلع القرن العشرين، أي وصول الرواية إلى نهايتها !

ولهذا يعود ولسن إلى الرواية التجريبية وممثليها بروست وجويس وبيكيت محللاً أعمالهم، ومبيناً بكثير من الوضوح المنهجي، كيف استغرقت أوروبا في الحلم، وكيف تفكّر، يستخلص أن الرواية هي في الأساس نوع من مرآة الحلم التي يحاول فيها الروائي أن يعكس نفسه الجوهرية، مخالفاً لما قاله شكسبير من أن الفن يحمل مرآة تعكس الطبيعة، ويقترب ولسن في تحليله لنماذج روائية ومسرحية دالّة، مما يريده بالضبط، أي إن الرواية غيرت ضمير العالم المتمدن، فدارون وماركس وفرويد، غيّروا وجه الثقافة الغربية ولكن تأثير الرواية كان أعظم من تأثير الثلاثة مجتمعين! ولفرضيته تلك معطيات استقاها من إعجابه بالرواية الروسية وكتابها العظماء من أمثال دويستوفسكي، وتولستوي، بمعيار الصورة الذاتية، صورة الذات الممتعة والمركبة وكذلك يتفحص أكثر الروايات تأثيراً (آلام فارتر) وتأثير روسو وغوته في فرنسا، إذ يعتبر أن بلزاك أعظم الروائيين، لأنه اهتم بالحياة التي رآها هو بغرابتها وتعقيدها، فأعمال بلزاك تنطوي على محاولته في ابداع صورة للذات ولإقناع العالم أنه كان مبدعا، وأن المبدعين يشبهون الآلهة.. وكذلك ماالذي يجعل من (مدام بوفاري) رواية رائعة يتساءل ولسن، ويجيب بالرومانسية، يعلّل السبب في دفع الرواية إلى الانهيار، مشكلة الحرية، فمثلاً فاوست عندما يستدعي الشيطان لمساعدته في الحصول على الحرية، ولكن كل مايفعله عندما يحصل عليها هو اغواء فتاة قروية! فالواقعيون تحولوا إلى مرارة، إذ لافائدة ترجى من رفع المرآة لإظهار الطبيعة، إذا كانت الطبيعة التي تعكسها تعجّ بالفوضى واللامعنى، ففي انكلترا كان انهيار الرواية أقل وضوحاً، فالانكليز مبهورون بسطح الحياة وهم أقل تجريبية وطموحاً من نظرائهم الأوروبيين.

ويستمر ولسن في مناقشة اطروحته بالمرور على تاريخ الرواية الروسية فالعصر الذهبي للأدب الروسي (١٨٥٠) بمغامرة تولستوي وديستويفسكي فهما أعظم الروائيين في الأدب العالمي، مفسّران وليسا وصفيين، محللاً أعمالهما، ومعتبراً أن عدستهما متسعة الزوايا، بينما زولا وفلوبير بين العدستين الضيقة والمتسعة. ينطلق ولسن في فن الرواية من نماذج مارسها روائيون جادّون تجسّد ماقصده الفيلسوف الدانماركي كيركفارد (ماالذي يتعيّن علينا فعله في حياتنا).

فالهدف من الرواية هو تقديم وعي متسع الزاوية، والرواية معادل للتجربة - الفكرية - وبمقاييس وعي الحضارة فإن الرواية الحديثة سببت الاحساس بالزيف واللاجدوى، ولم يستطع - كما يقول كولن ولسن قلة من العظام، بمن فيهم ديستويفسكي وتولستوي الايحاء باستيعاب الروح البشرية التي لايمكن تدميرها للحرية، وعليه فإن تحقيق الرغبة يعتبر الأساس الصحيح لكل الإبداع ومعظم الروايات الأكثر نجاحاً في القرن العشرين تحتوي على عنصر قوي من عناصر تحقيق الرغبة (ذهب مع الريح، وداعاً للسلاح، ويوليسيس) يوليسيس يعتبرها رواية عظيمة لأن جويس ملك الموهبة صبّ فيها جهداً أكبر من الجهد الذي صبّ فيه فلوبير في نوفاري، ومع يولسيس وصلت الرواية إلى نهايتها، ولايخفي ولسن مفهومه للرواية التجريبية (استخدام تقنيات جديدة، من أنها دفعت إلى الشعور بالاغتراب في مقابل روايات استخدمت التكنيك الفوتوغرافي (وداعاً للسلاح)، وانحيازه لرواية الأفكار، والاتكاء على التجارب الفكرية، وسبره للروايات الواقعية وفنتازيا تحقيق الرغبة، وغيرها من قضايا لافتة.

كولن ولسن قال مايعرفه بحثاً عن الطريق الجديد، بكثير من تفاؤل العقل، وقليل من تشاؤم الإرادة.

كولن ولسن في «فن الرواية»:

التفكير الوجودي مهنة الروائيين الحقيقيين

ماجد الشيخ

في هذا الكتاب يؤرّخ ولسون ليوم السادس من تشرين الثّاني (نوفمبر) ١٧٤٠ لصدور أول رواية في إنكلترا (باميلاّ أو مكافأة الفضيلة)، وكلّ من فتح الكتاب عرضا لم يكن ليجد أمامه ما يشير إلى أنّه يحمل واحدا من أكثر الأعمال ثوريّة في ذلك العصر. لم يسبق لأهل لندن أن قرأوا ما يشبه ذلك من قبل. لقد كانت هناك روايات بالطبع قبل رواية (باميلاّ) بما في ذلك (دون كيخوت) و(روبنسون كروزو) والأعمال المكشوفة لمسز (أفرابيهن) وهي كاتبة من كتّاب الدراما والقصص الرّومانسيّة.

لقد اصطدم مؤلّف باميلاّ (صاحب مطبعة متقاعد) بواحدة من أعظم حبكات الميلودراما المتواترة، وحين ظهرت مطبوعة جعلت من صامويل رشاردسن بالمصادفة واحدا من أنجح الكتّاب في إنكلترا وصاحب أكثر الكتب رواجا.

وفي عام ١٧٤١ اجتاح سعار (باميلاّ) إنكلترا، واتّجه نحو القارّة، ووجد رشاردسن المتقاعد نفسه ولدهشته وحرجه أنّه قد نودي به مصلحا أخلاقيّا، ونرى اليوم أنّ ما جعل منه رجلا عظيما إلى هذا الحد، ليس قيامه بتوسيع معرفتنا بالطبيعة البشريّة. كلاّ، بل إطلاقه عنان الخيال الإنساني.

لم يكن هناك يوما ما؛ طلب واسع على الأدب، كان هناك جمهور جيّد من القارئات ونساء من الطّبقة الوسطى لديهنّ متّسع من الوقت. إلاّ أنّ أكثر أجزاء القصّة غرابة في شأن صدور (باميلاّ) هو أنّ المؤرّخين لم يبدوا وكأنّهم قد لاحظوا أهمّيّتها الثّوريّة. لقد اعتبروها علامة أدبيّة بارزة بالطّبع، ولاحظوا أيضا أنّ هناك هوّة سحيقة. نفسانيّة وحضاريّة. بين عصر سويفت وعصر ديكنز، إلاّ أنّهم يميلون إلى إرجاع ذلك إلى أسباب اجتماعيّة. الحروب والتّحوّلات والثّورة الصّناعيّة.. إنّ نظرة واحدة إلى كتب التّاريخ تبيّن أنّ هذا بعيد عن الصّواب، إذ لم يحدث أيّ شيء في أوروبا يمتاز بالثّوريّة التّامة زهاء عام ١٧٤٠ أمّا بالنسبة للثورة الصّناعيّة والثّورة الفرنسيّة، فقد جاءتا بعد مرور خمسين عاما على ذلك، في وقت كانت فيه ثورة الخيال قد غيّرت من أوروبّا، لقد كانت تلك نتائج لا السّبب. إنّ رواية (باميلا) لرشاردسن هي التي أحدثت التّحوّل العظيم.

لكن إذا ما كانت (باميلاّ) بمثابة ثورة بركانيّة، فإنّ رواية (جولي أو إيلويز الجديدة) لجان جاك روسو (١٧٦٠) كانت بمثابة هزّة أرضيـّة، وعلى هذا الصّعيد رأى ولسون أنّه «ربما لم تكن هناك رواية أخرى لها التّـأثير ذاته التي أحدثته على التّاريخ الثّقافي لأوروبـّا، وقد حقّقت لروسو شهرة لا يمكن تخيّلها.

قضية الحرية

وبعد استعراض عدد من الأعمال الرّوائيّة، منها مسرحيّة (اللّصوص) لفريدريك فون شلر، وآلام فيرنر لـ«يوهان فولفغانغ غوته«، إضافة إلى العملين الطليعيين (باميلاّ وجولي)، يخلص ولسون إلى اعتبار أنّ أربعة كتّاب استطاعوا أن يؤثّروا في مجرى التّاريخ أكثر مما أثّرت فيه غرف التّعذيب لمحاكم التّفتيش أو جيوش فريدريك الكبير. وهنا يؤكّد على وجهة نظر شلر الذي يقول إنّه كان على حق، إذ مثّلت الرّواية. والمسرحيّة بدرجة أقل. بعدا جديدا في الحرّيّة الإنسانيّة. وكان مدى الرّواية أوسع من مدى المسرحيّة، إذ في وسع الرّواية أن تحدث صورة خياليّة وحقبا تاريخيّة بأكملها، ولكن ربّما كان أعظم منجزاتها هو تحرير الإنسان من نفسه وفتح إمكانيّات جديدة للارتقاء.

في نهاية الفصل الثّاني يخلص ولسون إلى أنّه حاول أن يبيّن أنّ نشوء الرّواية كان يرتبط ارتباطا وثيقا بقضيّة الحرّية الإنسانيّة والنّشوء، ويبدو أنّ معظم النّقّاد يتّفقون على أنّ الرّواية بدأت بالانهيار منذ مطلع القرن العشرين، فقد بدأ الأمر بأن منحت بعدا جديدا في الحرّيّة الإنسانيّة، وتمّ التّعبير عن مشكلة الحرّية تعبيرا واضحا حتّى عند رشاردسن عندما يعلن: لا، فليس أن كلّ ما يهمّه هو (إرادتي الإمبراطوريّة ومتعتي). ويتردّد هذا في كلّ الأعمال الرّئيسة للرومانسيّة، ابتداء بـ(أولويز الجديدة) وانتهاء بالجزء الثّاني من فاوست لغوته، إلاّ أنّ مشكلة الحرّية تثير أيضا مشكلة ما نريد أن نفعله بهذه الحرّية. إنّ فاوست يستدعي الشّيطان لمساعدته في الحصول على الحرّية، ولكن كلّ ما يفعله عندما يحصل عليها هو إغواء فتاة قرويّة. ثمّ جاء الآن (الواقعيّون) وكان لأعمالهم من العمق والإقناع مما جعلها تبدو وكأنّهم سيصيبون النّجاح، حيث أخفق الرّومانسيّون. وبشكل أو بآخر، استمرّت الواقعيّة لفتح عالم الأدب، ولكنّها بحلول عام ١٩٠٠ كانت قد تحوّلت إلى مرارة وعلقم، إذ أيّة فائدة ترجى من رفع المرآة لإظهار الطّبيعة، إذا كانت الطّبيعة التي تعكسها تعجّ بالفوضى واللامعنى؟

وفي إنكلترا كان انهيار الرّواية أقلّ وضوحا، ويعود السّبب في ذلك إلى أنّ الرّوائيين الإنكليز أقلّ تجريبيّة وطموحا من نظرائهم الأوروبيين. لكنه وفي نظرة قصيرة على تاريخ الرّواية الرّوسيّة، يستنتج ولسن أنّ نشوءها وسقوطها كانا هائلين، فالرّوس هم آخر من وصلوا إلى السّاحة الأدبيّة جرّاء القمع السّياسي، وبالكاد نكون قد بالغنا إذا قلنا إنّ الأدب الرّوسي ظهر إلى حيّز الوجود برواية بوشكين (يوجين أونجين) في عام ١٨٣٣ وكان الرّوس قد أمسكوا بزمام المزاج الأوروبي في اليأس الرّومانسي توّا. ومضى على موت بوشكين. إذ لقي مصرعه في مبارزة. خمسة أعوام عندما ظهرت أوّل رواية روسيّة عظيمة، وهي الأرواح الميتة لغوغول في عام ١٨٤٠ بينما بدأ العصر الذّهبي للأدب الرّوسي قرابة عام ١٨٥٠ بمغامرة تولستوي ودستويفسكي، وهما أعظم الرّوائيين في الأدب العالمي.

وعلى الرّغم من التشوّش الذي حكم رؤية العديد من الرّوايات أو تجارب العديد من الرّوائيين، فإنّ لهذه التّجارب الفكريّة شيئاً من القيمة الموضوعيّة ذاتها التي تمتلكها التّجارب العلميّة الحقيقيّة في أحد المختبرات الحقيقيّة. وهنا يعود ولسن إلى أربعينيات القرن التاسع عشر ليستشهد بالفيلسوف الدنمركي كيركغارد الذي نحت كلمة (الوجودية) لوصف نوع من الفلسفة تطرح هذا التساؤل «ما الذّي يتعيّن علينا أن نفعله بحياتنا؟« وأشار إلى أنّنا جميعا في حالة صيرورة، وأنّه لهذا السّبب يكون التّفكير المنطقي مرشداً فقيراً لنا في الحياة. لذا فنحن نحتاج إلى نموذج أعمق وأكثر قوّة من الغريزة نحو الحقيقة والحرّيّة. إذ إنّ «التّفكير المجرّد«. من النّمط الذّي مارسه هيغل. غير ذي جدوى. ويبدو أنّه لم يستوقف كيركغارد أنّ نمط التفكير (الوجودي) الذّي كان يقصده هو النّموذج الذّي مارسه كل الرّوائيين الجادّين. ومع هذا، فإنّ ذلك صحيح، حيث إنّ الرّواية تمثّل تجسيدا لما قصده كيركغارد بالتفكير الوجودي، وهو محاولة لعرض نتيجة بعض الاتّجاهات نحو الحياة عرضا واضحا، وحتّى لو حدث وكان الرّوائي مفكّرا مشوّشا، فإنّه لا يستطيع تجنّب قوانين الإبداع الغريبة التي لا يمكن استغوارها.

ويخلص ولسون إلى اعتبار الأطروحة المركزيّة لهذا الكتاب هي حيث يتعلّق الأمر بصنعة الرّواية، فإنّ قليلا من التّبصّر في أهدافها ودوافعها الرّئيسة يستحقّ قدرا عظيما من الموهبة غير المنضبطة (ص ٩١-٩٢). وفي «وصفة للنجاح« وهو مضمون الفصل الخامس يعيد ولسن ضبط النّجاح على إيقاع الحرّية والحياة، فمن النّاحية الحياتيّة؛ الحرّية هي إفراغ للتوتّر، ولهذا السّبب فإنّ الرّواية النّاجحة هي تلك التي تبني التّوتّر ثمّ تسمح له بالانطلاق كالرعد.

وفي نقطة حيويّة أخرى، يذكر ولسن أنّه وإن انحصر اهتمام هذا الكتاب بأعمال تعتبر مؤلّفات كلاسيكيّة أو روائع، ما يحدث الانطباع أنّ الكتابة الجدّيّة فن مبهم ينحصر بالنّوابغ والمحترفين، وهذا غير صحيح، إذ إنّ مبدأ المرآة ينطبق على الهواة كما هو على المحترفين، حيث أنتجت مؤلّفات أدبية عديدة ومهمّة بواسطة مبتدئين. والدّرس الذّي نستخلصه هو أنّ تحقيق الرّغبة يعتبر الأساس الصّحيح لكل الإبداع على الرّغم من النّظر إلى ذلك باحتقار، حيث إنّ معظم الرّوايات الأكثر نجاحا في القرن العشرين تقريبا تحتوي على عنصر قوي من عناصر تحقيق الرّغبة، وينطبق الأمر هذا بدرجة متساوية على الأعمال (الأكثر رواجا) والأعمال (الجادّة) أيضا.

لقد تطلّب الأمر أكثر من ألفين وخمسمئة عام بعد الإلياذة لتطوير سرد المغامرات على شكل رواية، حيث حلّق الخيال الإنساني تحليقا عاليا، وكانت واحدة من أغرب الطّفرات الارتقائيّة في تاريخ الجنس البشري، ثمّ وقعت الرّواية على نحو غير معقول ضحيّة لقصور الوعي ذاته الذي جاءت لمعالجته، إذ قام الرّوائي بضغط أنفه بقوّة في الواقع. هكذا شخصت عيناه كالدّجاجة، وتبخّر إحساسه بالحرّيّة، ووقع في شرك حركة السّرد الأماميّة والآليّة.

هكذا يخلص كولن ولسن إلى أنّه كان الغرض من الرّواية أن تكون استغوارا لقوانين الحرّيّة والتّحرّر من محدوديتنا الاعتياديّة، وأن مهمّة الرّوائي مهمّة روحيّة، وهي أن يحرّر نفسه من هذه المحدوديّة وتحقيق رؤية (متّسعة الرّؤية) ونقل ذلك إلى القارئ.

بعد مرور نصف قرن على كتابه «اللامنتمي»

كولن ولسون: أخطط للعيش 300 سنة

مريم جمعة فرج

هذا الحوار أجرته لين باربر المحررة الأدبية بصحيفة «الاوبزيرفر» اللندنية مع كولن ولسون بشأن انتاجه الغزير وموضوعاته الكثيرة وعلاقته بالنقاد وسيرته الذاتية المنشورة مؤخراً «الحلم لغاية ما».

على الرغم من أن كتاب «اللامنتمي» كان قد حوله عام ١٩٥٦ الى هاجس مثير، الا أن كولن ولسون نفسه كان قد تحول الى لا منتم. لا منسجم ومؤلف لـ١١٠ أعمال لا يرغبُ فيها الآخرون حتى ناشره الا أنه يأمل بأن تتمكن سيرته الذاتية من اقناع العالم بعبقريته في نهاية المطاف. هذه هي المرة الأولى التي أتمكن فيها من اجراء مقابلة عبقرية تعلن عن نفسها، والمرة الأولى التي أقابل فيها شخصية غريبة الأطوار تعلن عن نفسها أيضاً، وهكذا فقد كان لقاء كولن ولسون آسراً جداً بالنسبة لي.

لقد استمر ولسون في الإعلان عن عبقريته منذ صدور كتابه «اللامنتمي» عام ١٩٥٦ ثم استيقاظه فجأة على الشهرة. كان قد كتبه في قاعة المطالعة بالمتحف البريطاني عندما كان ينام على فراش متنقل في شارع هامبستيد هيث. كان ابناً لعامل في أحد مصانع ليكستر وكان قد ترك دراسته في السادسة عشرة،

ونجح في التهرب من الخدمة العسكرية بحيلة صغيرة. كان يوفر ما يعينه على الحياة بالعمل في مهن غريبة في أثناء قراءته كما يبدو كل ما كان ينشر في ذلك الوقت، وتأليفه كتاب «اللامنتمي» الذي حظي بالإشادة باعتباره النموذج الانكليزي من رواية ألبير كامو «الغريب». غير أن شهرته الأدبية سرعان ما تقهقرت ليتحول الى منبوذ في أقل من عام واحد. وعلى الرغم من أن جريمته المباشرة في تلك المرحلة كانت الظهور المكثف في المناسبات وزيادة معارفه، و شهرته، الا أن جريمته اللاحقة، الأسوأ، كانت تأليفه عدداً كبيراً من الكتب تصل الى ١١٠ حسب الإحصائية الأخيرة. في موضوعات تتراوح ما بين جرائم القتل التي يقوم بها محترفون والاختطاف المنفر الى « مدينة أتلانتس المفقودة ».

وعلى الرغم من ان النقاد هاجموه في البداية ثم تجاهلوه بعد ذلك. لم يتناوله أحد بالنقد الجاد لسنوات. الا أنه الآن، وفي الثالثة والسبعين، كتب سيرة ذاتية، بعنوان «الحلم لغاية ما»، تتوفر فيها الكثير من عناصر الجمال. وهي مذهلة، صادقة ومبتهجة على نحو غير متعمد.

وعلى الرغم من أنني استمتعت بالجزئية التي تدور حول استنباطه حيلاً للاستمتاع بمشاهدة تنانير طالباته بمساعدة كوب شفاف للشرب عندما كان مولعاً بالملابس النسائية وأستاذاً زائراً باحدى الجامعات الأميركية. الا أن قصة صراعه لكي يصبح كاتباً، و الاصرار الذي حافظ على تماسكه . على الرغم من نصائح الآخرين بمن فيهم ناشر أعماله بالتوقف، تبدو كلها بطولية ومؤثرة بالنسبة لمن لم يطلع عليها في الأساس.

أذهب لمقابلته في منزله بكورنوول، حيث يعيش منذ ما يقرب من ٥٠ سنة. فيأخذني من سانت أوستل في سيارته الجاكوار القديمة وعلى الرغم من أنه يبدو في سترته المصنوعة من قماش التويد مثل أولئك الأشخاص الودودين الذين نشاهدهم في الاعلانات.

الا أن حواره يصبح أكثر غرابة ونحن نصفر في أثناء سيرنا في الطريق. يتلفظ بكلمات تنم عن الغيظ، مصحوبة بنظرات خبيثة مرسلة في الاتجاهين للتأكد مما اذا كنت اشعر بالصدمة. الشخص الذي تحدث عنه كان همفري كاربنتر، الذي كان من المقرر له أن يقابله ولم يفعل ذلك:« قلت لنفسي، كنا متفقين كثيراً، على الرغم من ادراكي أن همفري كان نائماً عندما كنت مستغرقة في شرح ما كنت أعنيه بالوجودية اللا متشائمة».

كان وصولنا الى بيته الصغير بمحاذاة شاطئ البحر ومقابلة زوجته، جوي، التي تعيد التأكيد على أنها انسانة طبيعية، ودودة و مسالمة الى حد بعيد بمثابة الانفراج. تنصرف سريعاً لتحضير القهوة ثم الاعتذار عن الفوضى التي تحدثها الببغاء المتقافزة في أرجاء الغرفة. الغرفة مثل بقية المكان مليئة بالكتب حتى أنك تشعر بامكانية ازاحة الجدران المطعمة بالقواقع من دون أن يؤدي ذلك الى تهاوي المنزل.

لم يسبق له مطلقاً التخلص من كتاب. يتراءى له ان لديه زهاء ٣٠٠٠٠ كتاب. كلها مرتبة حسب موضوعاتها، ثم مؤلفيها، و مغلفة بالبلاستيك. البعض منها محفوظ في سقائف موضوعة في الحديقة . سقيفة قصص الجريمة، سقيفة قصص الفضاء، سقيفة المذكرات. و سقيفة الأعمال الكاملة لكولن ولسون.

وعلى الرغم من رغبته بأن تكون لديه سقيفة أخرى في البستان الا أن جوي تبدو متحفظة من جانب آخر. يؤكد ولسون أنه يتمنى تحويل المنزل والسقائف الى متحف بعد موته، لأن الناس ربما أصبحت لديهم الرغبة في أن يشاهدوها، مثل مشاهدتهم لكوخ ديلان توماس.

يضيف : على الرغم من أن ذلك ليس مؤكداً.

على الرغم من أن الموعد المقرر لصدور كتابه الجديد هو ٢٠٠٦ . الذكرى الخمسين لصدور «اللامنتمي». الا أنه، مثلما يحدث باستمرار، كان بحاجة الى المال، وهكذا لم يتردد في الموافقة على أول عرض باستلام دفعة أولى. يوضح لي أن أهم ما يميز سيرته الذاتية، هو مساعدتها النقاد على مراقبة الكيفية التي تتداخل من خلالها كل أعماله. وعلى الرغم من اعترافه بغزارة الانتاج وكثرة الموضوعات التي يكتب حولها، الشيء الذي يشوش الآخرين.

الا أنه يمكن لهؤلاء أن يروا الآن موضوعاً رئيسياً واحداً. في سنة ١٩٤٧ سمح وليام فوكنر بضم أعماله الكاملة في مجلد واحد ثم أصبح شهيراً فجأة، وحقق أفضل المبيعات، ونال جائزة نوبل. ومثله المجلد الذي يضم أعمالي الكاملة!.

أجل. ان الجزء الأكثر لفتاً للانتباه في كتابه هو الذي يدور حول الأمور الحقيقية في حياته، كفاحه المبكر لكي يصبح كاتباً وعلاقته بجوي وأطفالهما. أما الجزء المراوغ فهو المتعلق بتفكيره.

ان فلسفته وجودية في الأساس، مع بعض الاضافات اللا منطقية مميزة بأسماء غريبة مثل فاكولتي اكس، من الرأس الى العقب، تجارب القمة، رجال مناسبون. ويبدو أن ذلك يشكل محاولة لتصنيف المشاعر والسلوك الانساني. ان ذلك بلا شك هو ما يشكل نقطة ضعف وجاذبية ولسون، من ناحية. بسؤالي له عما اذا كان يدعي أن لديه ذكاءً عاطفياً منخفضاً، يعبر عن موافقته الفورية « نعم، هذا صحيح». نعم في طفولته .. كان انطوائياً الى حد بعيد، غير ميال الى العيش مع الآخرين، ما قد يشخصونه اليوم على أنه أحد أعراض مرض التوحد. لا أعتبرها مفاجاة، اذ على الرغم من أنني لم اكن مقطوعاً عن الآخرين، الا أن الآخرين، كما أشير الى ذلك باستمرار في رواية الغريب، هم المشكلة.

كانوا يتطفلون على عالمي سواء رغبت

شبح الستينات

عبد القدوس الخاتم

في ذلك أو لم أرغب، بعيداً عن عالم الفكر والأشياء المجردة التي كنت أرغب في العيش بداخلها.
عندما كنت مراهقاً كنت رومانسياً متهرباً من الواقع تماماً. كانت الكتب هي عالمي. كان لدي نفس الشعور الذي جعل أكسل يقول في احدى مسرحياته .« بالنسبة للعيش، فان بامكان من يخدموننا أن يقوموا بذلك نيابة عنا» الا أن ذلك تغير برمته بوصولي الى سن السادسة عشرة واكتشافي رابيليه. فجأة صار لدي ذلك الشعور الرائع . الهي، لا شك في أن الحياة جميلة على الرغم من كل شيء».
قابل ولسون زوجته الأولى، بيتي، ثم أصبح أباً في التاسعة عشرة. وعلى الرغم من اكتشافه أنه سعيد بحياته الزوجية الا أنه لدهشته الشديدة لم يكن قادراً على القيام بواجبه كأب.
يحتوي الكتاب على مشهد مبتهج غير متعمد هو المشهد الذي يقرر فيه أن يمضي عطلة عيد الميلاد في التأمل لكي تثور ثائرته عندما تقطع بيتي أفكاره لكي تطلب منه أن يحمل الطفل. ثم ينفصلان بعد ذلك. وعلى الرغم من عودتها مرة أخرى، الا أن جوي كانت قد ظهرت في حياته هذه المرة. تقابل ولسون وجوي أثناء عمله في احدى تلك الوظائف الكثيرة المؤقتة التي التحق بها . كان يعمل مساعداً في أحد محلات بيع السجاد في فترة عيد الميلاد وكان يقوم بتسجيل الفواتير. وما أن رآها حتى وقع في غرامها فوراً، الى حد ما بسبب انتمائها الى الطبقة المتوسطة.
«كنت أعلم أنني لن أطيق فتاة تتحدث بلهجة أهالي ليكستر، أو أية لهجة محلية أخرى. الا أنني ما أن سمعتها حتى قلت لنفسي، عظيم، هذا هو ما أريده. ولما سألتها، ما الكتب التي تحتوي عليها مكتبتك؟ قالت أنها تقرأ يتس ويوليسيس، و بروست بالفرنسية قلت لنفسي، «الهي، انها الفتاة التي أحلم بها! ان بيتي لا تقرأ على الإطلاق».
وعلى الرغم من أنه يبدو بصورة استثنائية شخصية قادرة على الاحتمال، سعيداً بالدخول في انسجام تام مع الأشخاص الذين يحملون نظريات حول أمور مثل الاختطاف أو ما يقدمه أين برادي، في قاتل مورز، الذي ظل يراسله ١٠ سنوات حتى أهمله.الا أن علاقاته الاجتماعية العادية . باستثناء علاقته بأسرته . تبدو مفقودة تماماً.
على الرغم من أنه داب على القول بأنه يخطط للعيش ٣٠٠ عام الا انه بعد اصابته بسكتة خفيفة، صار يؤكد على أنه يأمل في العيش الى أن يكمل ٩٣ عاماً، السن التي رحل فيها بطله جورج برنارد شو. ولكن كيف سيكون نعيه؟ يقول «لا يهمني ذلك فعلاً.
لقد قلت في نهاية «رحلة الى بداية» «أول سيرة ذاتية يصدرها، قبل ٤٠ سنة» انني أنظر الى نفسي باعتباري الأكثر أهمية بين كتاب القرن العشرين. وسأكون أحمق ان لم أدرك هذا وجباناً ان لم اقله.

عن (البيان)

ما هي مشكلة كولن ولسون وما مشكلة صنيعته «اللا منتمي»؟
لم يترك ولسون بصمة واضحة علي معاصريه ولا من جاء بعده من الكتاب والنقاد، فهو لم يكن يهتم بوظيف الكاتب كمحرض للتغيير كبعض مجايليه؟ فقد أحدث ميشيل فوكو بكتابه «تاريخ السجون في فرنسا» هزه في اوساط المثقفين والسياسيين ادت إلى ثورة اصلاحية داخل السجون الفرنسية وأضاف سارتر زخماً لمفهوم الالتزام في الادب هذا على سبيل المثال، كما لم يكن ولسن فيلسوفاً صرف كهايدجر أو هو سيرل أو من رواد علم الاجتماع النقدي كأدورنو، لذلك اديرت عنه المؤسسة الاكاديمية.
اما «اللا منتمي» فقد كان نموذجاً فضفاضاً للبطل المأساوي في عشرات الروايات الذي يمكن الاشارة إليه بسهولة تامة كما كانت قدرته التحليلية تتأرجح بين القمة والقاع ولم يكن بذلك النفاذ الذي نجده لدى النقاد الكبار، ورغم ذلك لا يمكن ان ننكر عليه سعة اطلاعه وقدرته على التصنيف وثباته على موقفه ودأبه واجتهاده.
«جلسن في مقعدي وطفقت أكتب الكتاب تلو الكتاب وكان غرضي امتاع نفسي والتعبير عن أفكاري ومثال ذلك مجلدي «كتب في حياتي" ١٩٩٨ وفي رأي أنه افضل مؤلفاتي في السنوات الأخيرة وكنت شرعت فيه بناء على طلب لناشر ياباني ليضيفه إلى مقالات ادبية نشرتها لبعض المجلات؟
واكتشفت ان الناس كانوا يقرأون هذا الكتاب بوصفه نوعاً من الدليل الادبي، واعطاني هذا شعوراً بالراحة وبأن الاشياء تتحسن ببطء مع انني لم اكسب نقوداً يؤبه لها وكنت مديناً للبنك حتى بضع سنوات إلى أن اصدرت كتابي «من الاطلنطيك إلى ابي الهول ١٩٩٧م» وطبع عدة مرات». بالنسبة لولسن فإن الوجودية القديمة ركزت على ان الانسان يعيش في حالة طوارئ وانه لا وجود للخالق ولا وجود لقيم متسامية وان الانسان كان وحيداً في الكون الخاوي وان افعاله لا أهمية لها إلا بالنسبة لنفسه، اما في الوجودية الجديدة فإن ولسون يدعو إلى اختيار ظاهراتي للوعي وبالذات مشكلة مكونات القيم الانسانية ويقول في جملة شهيرة «يتضح لنا كل يوم ان الوعي اكذوبة» لمعظم الناس استبصارات بشأن ذلك والسؤال هو كيف نمنح هذه الاستبصارات وضعاً فلسفياً وكيف نتقدمها، ويبقى ولسون واثقاً بأن هناك معيار للقيم خارج الوعي الانساني وان التطور الانساني يعتمد على هذا الادراك وعلى تجديد الاحساس بهدف كلي أو يقول أنه الكاتب المعاصر الوحيد الذي يتبنى منهج الوجودية الجديدة. رغم ان المسألة الوجودية مكون واحد فقط من مكونات مؤلفات ولسون الغزيرة فأنها تعتبر خيطاً مشتركاً يربط بين افكاره وبالاضافة إلى سلسلة من الرايات تشمل ثلاثية «عالم العنكبوت»، البرج» الدلتا الساحر، والتي أعيد طبعها في الولايات المتحدة عام ٢٠٠١م، فهناك جزء رابع بعنوان «ارض الأشباح» وبقدرته التحليلية عالج العديد من الموضوعات المتنوعة، وتشمل علم الاجرام «وخاصة القتلة المتسلسلين ويضيف ولسون ان لديه فهماً جيداً للعقل المجرم، النقد والنظرية الادبيين، علم النفس، علم الجنس، السحر، النبيذ، الموسيقى الكلاسيكية والحضارات القديمة.
كما اتتبع عدداً من كتب السيرة الغيرية تتراوح بين مختلف الشخصيات مثل راسبوتين يونج، ستندبرج، هيرمان هيسه، ويلهلم رينم، يورخيس، الستر كروالي، رودولف شتاينر، وكن رسل.
ثم اتبعها بدراسة عن «المسيح الدجال» مما يدل على تنوعه العجيب. ويعترف ولسون ان اتساع اهتماماته قد خلق مشكلة للنقاد الذين اعتادوا على تصنيف المؤلفين ووضعهم في خانات، كما يمكن لقرائه ان يجدوا ما يغنيهم في أي مجموعة من اعماله وبذلك يتمتعون بالأضاءات والغذاء الفكري في أي موضوع يتناوله ولكن تنطوي مؤلفاته على اعتقاد لا يتزعزع في قوة وامكانات العقل البشري للتسامي فوق الاعتيادي إلى مستويات اعلا من الوعي ومقابلة محددات الوعي السائد. من التيمات الأساسية لأعماله موضوع كيفية تحقيق الناس لتلك الهنيهات الغريبة من الحرية الجوانية ومن البهجة الخالصة لذروة التجربة أو النشوة عندما نشعر بأن طاقاتنا أكثر من كافية في وجه التحديات وفي تناقض ساطع مع الوعي المبذول حين نشعر بأننا في قبضة قوى غير شخصانية أكثر سطوة من انفسنا.
وواحدة من أهم الصور في اشتغالاته، كما يشير هو، المنظر الذي نشاهده أما «بعين الدودة» أو «بعين الطائر» الاول ذو تجربة مشوشة ترزح تمت محددات الوعي؟ والاخيرة هي القدرة على الامساك بالحقيقة للوصول في النهاية إلى ما يسميه بالاشراق الرؤيوي ويرى فيه الطريق إلى تحقيق التطور البشري أو اعادة اكتسابه.
مناقشته لموضوع القتلة المتسلسلين يطوف في الذهن السؤال هل يمكن ان تكون لدى الشخص الشرير تجربة ذروة شريرة؟ هذا مثير للاهتمام يقول ولسون «انني اكتب في لحظة تقديم كتاب آبان بريدي واعتقد ان معظم الناس يعتقدون انه تجسيد للشخص الوغد.فأي شخص يقتل الاطفال من أجل الجنس يجب ان يتمتع بنوع من الفظاظة والفظاعة، ولكنه يثير اهتمامي بفضل ذكائه الفائق ولأن بداياته كانت شبيهة ببداياتي في اوجه كثيرة بمعنى الأسس وانماط التجارب التي نما في ظلها.
ولكنه في نقطة ما غرس كعبيه إلى اعمق وزر فكية ككماشة وقال انه ادار ظهره لاحتمالية حدوث اشياء طيبة ويضيف ولسون «باكورة شبابي كنت في حالة ذهنية يائسة ويغمرني شعور بأن الكون مكان رهيب ووقفت أحياناً على حافة الانتحار ولكن ذلك الأحساس لم يصل إلى نفسها النقطة التي أنجر إليها بريدي. لأنني كنت في طفولتي طفلاً محبوباً فاكسبني ذلك شعوراً بالثقة الصامتة والتفاؤل الشيء الذي صلب عودي عندما دخلت في ذلك النفق الطويل من الكآبة، ولكن بريدي كان أبناً غير شرعي لنادلة لم يكن لديها الوقت لتقبيله وتدليله لذا لم يكن لديه حائط يتكئ عليه فعاش وحدته بمفرده ولم يفض له ان يغادر مرحلة التشاؤم اطلاقاً».

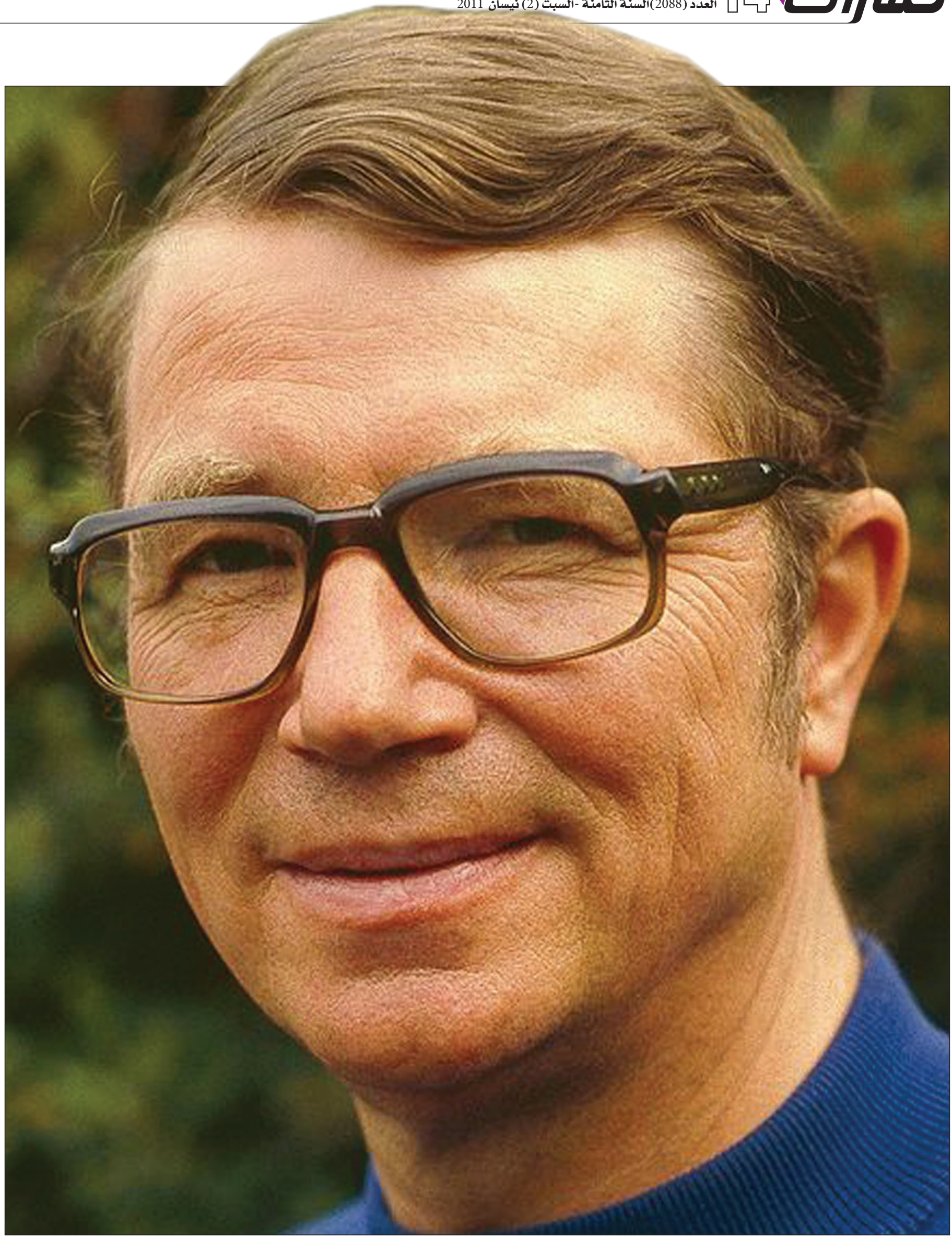

مشكلة النجاح

كولن ولسون

الوقوع في اسر " النجاح الشعبي " تجربة تسبب الدوار ، ولا يستطيع احد ان يتمناها مرتين ، وكل كاتب يحلم ، بالطبع ، بالنجاح. ولكن ما يحلم به يختلف تماما عن الحقيقة .

قبل ان انشر كتابي " اللامنتمي " فكرت اقول لنفسي ينبغي لهذا ان يعيد الأمور الى نصابها ويعيدها الى الحياة . ثم فجاة اصبحت في التلفزيون تحت الاضواء المركزة ، القى التشجيع لكي اتشاجر .. او في افتتاح معرض للفن .. مع احد اللوردات القى التشجيع لكي انا ديه باسمه المجرد .. في حفلة يشيرون اليّ الضيوف باعتباري مثل الاعجوبة الطبيعية ، او يهاجمني ناقد .. فما علاقة كل هذا بكتاب " اللامنتمي " ؟..لقد كان شيئا لا يصدق ، وكان اكثر غباء وجنونا من كل ما كان بوسعي ان اتخيله ، ولم يكن على علاقة مطلقا بأي شئ اهتم به . كان استعراضا ساخرا فكاهيا للنجاح .

في ذلك الصباح من يوم الاحد ، حينما ظهرت اول عروض الكتاب ، فكرت بيني وبين نفسي قائلا انني كسبت وفزت واحرزت هدفي . ثم حينما مرت اسابيع الدعاية ، تبينت كل ما فعلته عدا ذلك ، تبينت انني لم احرز هدفي . وان المعركة قد انتقلت فحسب الى جهة اخرى ، وبدأت اكتشف حقيقة ما قاله سارتر من ان " الجحيم هم الآخرون " ... عارضني "اير " بعرض لاذع لكتاب اللامنتمي شبهني فيه بكلب راقص . كانت الرصاصات تتطاير – وبشكل حتمي – كنت اصاب باكثرها سوءا .ولكن الشئ الذي كان اكثر اثارة للحيرة ، هو الهجمات العدائية دون مبرر يثيرها . فذات مساء اشتركت في مناقشة .. وبعد بضع دقائق من بداية المناقشة وصف "مانكويتز" كتاب " اللامنتمي " فجاة بانه مجموعة مختارة من الاقتباسات ، فأثار هذا القول الضحك ، ولما وجد " مانكويتز " انه يلقي التشجيع ، احتفظ بخط الهجوم طوال الأمسية . وفي اليوم التالي ظهر تحقيق في احدي صحف لندن المسائية يقول ان "مانكويتز " قد " لعب بولسون كما يلعب الأسد الطيب بفار صغير " .

وفي اليوم التالي طلب مني ان اظهر في التلفزيون لكي أناقش المسألة مع " مانكويتز " وقبلت ، واشتدت سخونة المناقشة ولكنها لم تتحول إلي وقاحة من اي نوع . وبعد ذلك سألت " مانكويتز " عمن كتب الكلمة التي نشرت في الصحيفة المسائية ، فاحمر وجهة ، ثم تنحنح بوهن وقال بسرعة " انا كتبتها " .

وطلب مني ذات مرة ان اتحدث مع اعضاء جمعية من المشتغلين بالأمور الروحية .. وفي كلمتي التي القيتها بعد تناول الطعام . قلت انني قد تعبت من وصفي بانني المتحدث باسم جيل الشباب ، وانني لا امثل احد عدا نفسي ، وان " اللامنتمي " كان تعبيرا شخصيا ، وانني اشعر بالخداع اذا ما نظر اليه باعتباره تعبيرا عن موقف جديد معاد للمؤسسات القائمة .وفي اليوم التالي ظهرت صحيفة " ديلي اكسبرس " بعنوان يقول : " كولن ولسن يعترف بأنه مخادع " ونقل عني انني قلت : " ان اللامنتمي قد كتب بناء على قصد زائف تماما " .

بعد ستة اشهر من نشر اللامنتمي . كان الراي العام السائد بين المثقفين الانجليز ان كتاب اللامنتمي كان نوعا من الجنون مات ميتته الطبيعية .. واحسست بان كل صحفي في انجلترا قد اراد ان يلقي حجرا على الشاهد الحجري الذي ينتصب على شهرتي الميتة . واشترك الامريكيون ايضا في هذه التسلية . فليس هناك من بلد اكثر من امريكيا تلهفا على إضفاء الشهرة على الناس ، وليس هناك بلدا اكثر منها ابتهاجا برؤية الشهرة وهي تسقط وتذوي .

بدا لى ان المثقفين انفسهم يحملون ميلا سريا الى التمتع بمباهج المحاكمات التي كان يقوم بها الغوغاء . ويطرح هذا السؤال الهام نفسه : لماذا ثار ضدي رد الفعل هذا ؟ اعتقد ان السبب لاعلاقة له بالكتاب ، وليست له بي سوى علاقة بسيطة ، ولم يكن له سوى علاقة بسيطة أيضا بما فعلته لي "ميكانيكية النجاح" .. فالناس جميعا يحملون كراهية قوية للنجاح . والمثقفون يحملون ضعف مايحمله الناس العاديون لهذه الكراهية. اننا نبتهج ابتهاجا غير منطقي عندما نرى الناجحون يسقطون من فوق قممهم ، ولو وجدت وسائل سحرية لجلب الكوارث للناجحين لتمسك بها الناس في ابتهاج. .. لكن نجاحي انا لم يكن له اساس تقريبا ، فليس هناك سوى القليل جدا من الناس من يستطيعون حقا ان يفهموا " اللامنتمي " الا بقدر ما يوجد من المؤهلين لفهم نظرية الكميمات ... هناك افتراض اساسي بين المثقفين مؤداه ان كل ما يحققونه من نجاح انما يحققونه بالخداع والمساومة .. لقد كان من الممكن ان يصبح الأمر اكثر من مجرد العبث ، لو ان استقبال " اللامنتمي " ادى الى ان يجعلني اشعر بالراحة في هذا العالم الذي كان الكتاب هجوما عليه ... قررت ان جوابي يجب ان يكون هو الخروج من لندن .. وبدا لي هذا هو الحل المعقول ..واستطاع الانعزال في الريف ان يحل مشكلة النجاح الى درجة كبيرة ، ولم اسف على هذا ابدا ، ولكن الكتّاب الذين مازالوا يتوقعون مستقبلهم لابد ان يواجهوا هذه المشكلة . وليس من المتوقع لهم ان يحلوها بمثل هذه البساطة . انها مشكلة من نوع عجيب .

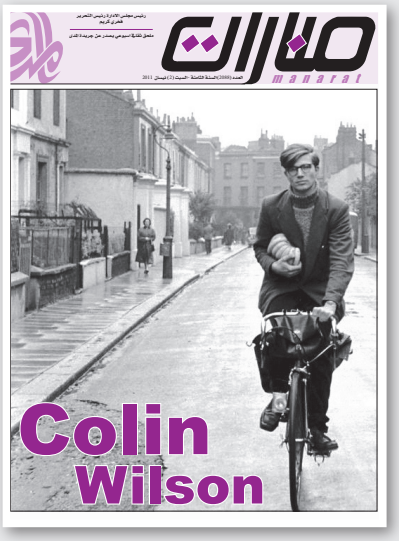

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير
نزار عبد الستار
التصميم
مصطفى جعفر

منارات
طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

على أرصفة (سوهو).. كولن ولسون يلهث وراء أبطاله

ليس علي

(هل ستمضي الحياة من دون أن يتفجر منها شيء.. أنا أحيا الحياة بلا ألوان لأيام، لاشيء ينصبُّ فيها أو ينبع منها، أن تتحرك ولو حركة بسيطة إلى الخلف،

أن تدير رأسك نحو مكان بعيد أو قريب.. أن تفكر في إضافة أشياء مبهمة لاتعرفها أنت، لأفضل من أن تظل ساكناً كحجر كبير يرتكز على قاعدة تمثال، التدفق يعني الاستمرار، أنا لامستمر، ألس الأشياء دون أن تلسعني حرارتها.. أريد أن أحيا الحياة من جديد، وبشكل جديد، لاجدران تتطاول أمامي).

أفكار تقافزت في عقل (هاري بريستون)، سيّرته ودفعته للانغماس بمغامرة جريئة، باحثاً عن حرية تنبعث من أعماق النفس.. عن معنى الحياة في جوهرها اللامدرك واللاملموس.

يلقي بنفسه في عالم مدينة لندن.. للضياع على أرصفة (سوهو).. محاولاً تلمس طريقه في عالم أسئلته الضبابية (من أنا؟ وماذا أفعل؟ لِمَ جئت إلى هذه الحياة؟).

فضاء من تساؤلات وجودية يشيده الروائي والمفكر الانكليزي كولن ولسون في روايته (الضياع في سوهر) حيث المكان الذي ألقى بنفسه على أرصفته بطله (هاري).

البطل هو ذاته الروائي وكتابه هذا ليس سوى سرد لتفاصيل تجربة عايشها ومرّ بها في مقتبل حياته، منغمساً في حياة من يعرفون بالبوهيميين.

(هاري) التقط جوهر الحالة، اكتشف باطنها، مفجراً قناعته حول أناس يمثلون أنهم يعيشون حريتهم، بكل صراحة قال رأيه فيهم، لم ينحز إليهم بمقدار ما أراد رصد معاناة جيل توهم عيش الحرية.

بداية.. أولع هاري بحياتهم، حياة التشرد والتسكع المتحللة من أي التزام، وأعجب بشخصية (جيمس) الجذابة، أحد أبرز أولئك المشردين.

في محاولة من (كولن) لمقاربة عوالم تفكير هذه الفئة من الناس مدّعياً التفكير الحر المطلق غير المقيّد، من يميلون للعيش بنمط حياتي غير مألوف، محاولة لإضفاء خصوصية في نتاجهم الفني والأدبي،

يذكر إحدى حواراياته مع (جيمس) الممثل الذي لاحظ له، يقول هذا الأخير: (عليك أن تكتب رواية عنّا، سمها، المنبوذون أو المشردون) وبيّن فيها كيف يعادي مجتمعنا الرجال الذين لايأبهون لعيش النفاق، وكيف لم يستطع المجتمع إرغامنا على الانحناء بخنوع.

إن المجتمع يرهب جانبنا يخاف منا.. معظم الناس منافقون مدلسون يقضون الحياة جرياً وراء مال جديد.. هم يستطيعون شراء كل شيء ولكنهم لم ينالوا الكرامة الإنسانية، إنهم يعجزون عن شرائها، فالعبد خال من الكرامة ولهذا هم لايطيقون طبقتنا، هم يعرفونَ أننا نرفض أن نبيع أنفسنا للوهم الأكبر، ولن نساعد في عمليات التزييف البشعة، وسنبقى مصدر لوم عنيف لهم متحدثاً بلسان فئة (البوهيميين).

من الداخل.. من العمق يعاني كولن تركيبة هؤلاء وتجربتهم بأن تحيا من يوم إلى يوم، أوبالأصح من وجبة طعام إلى أخرى، يصل إلى خلاصة تجربته معهم (لقد قذفت بنفسي في قلب لندن لأبحث عن نوع جديد من الحرية، ولن أجدها برفقة أحد، ولن أصادفها في شوارع سوهو، إنها ليست الحرية التي أرغب فيها، أنا أرغب في شيء أعظم، وشعرت بأنني أنتقد جيمس فتابعت قائلاً له،:إن هذه الطريقة من الحياة التي تعيشونها، تجوال لاهادف في سوهو، تنقّل مستمر.

من مقهى إلى حانة، النوم على مقعد في حديقة، النوم في عربة قطار، هذه الطريقة لاتشبع رغبتي ولاتجعلني أكفّ عن البحث،وأنا لا أؤمن بأن الحل هو اكتشاف طريقة جديدة للعيش، فطريقة الحياة التي تحياها، ليست هي الحياة.

هكذا يصوغ التقابل مابين فكرين.. هل استفزته حياة هؤلاء؟ وهل حقاً أفاد من تجربة التسكع التي كانت سبباً للمضي نحو مكتبة المتحف البريطاني، فقرأ وقرأ.. وفكّر حتى بدأ يكتب، فأنتج كتابه الأول (اللامنتمي) عام ١٩٥٦م، وهو لم يزل في الخامسة والعشرين من العمر متحدثاً فيه عن عزلة المبدعين.

غالباً تجنح أعمال كولن ولسون نحو الغوص في تساؤلات الإنسان الوجودية ولهذا يُعتبر من المساهمين بنشر هذه الفلسفة في بريطانيا.

وعلى الرغم من وضعه في خانة الشباب المتمرد، إلا أن تمرده يظهر في فكر أراد طرحه، بينما أسلوبه في (الضياع في سوهو) يُطبع بطابع تقليدية السرد.. فلا يموه ولايلجأ إلى طرق فنية مبتكرة، يركن إلى عنصر الزمن المتصاعد في جريانه مقتفياً أثر أحداث تتابع تراتبيا.

وكل الغاية.. أنه يسوق أحياناً كثيرة تسلسل تلك الأحداث كمسوغ لذكر الأفكار من ورائها.

الرواية بمجملها تأتي حاملاً لأفكار.. وهو مايبدو أمراً طبيعياً في توصيف عمل ينتجه فيلسوف، انتقل للعيش فجأة في خضم مدينة مثل لندن، ضمن فئة أولئك (البوهيميين).

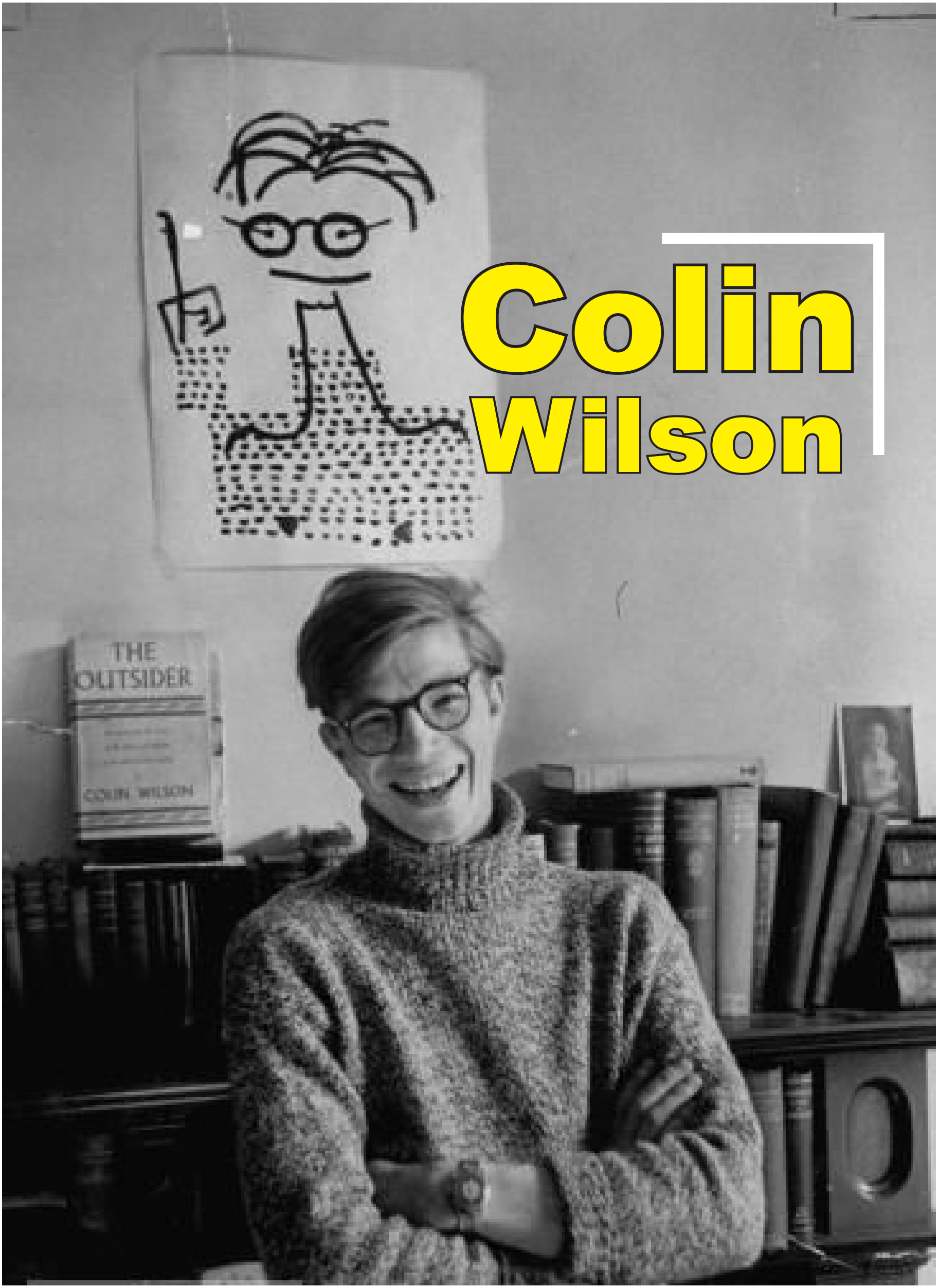

Colin
Wilson
THE OUTSIDER
COLIN WILSON